



**UNIVERSITY OF CALICUT**  
**SCHOOL OF DISTANCE EDUCATION**

**BA**  
**AFZAL-UL-ULAMA**  
**( IV SEMESTER )**

**NOVEL**  
**(COMPLEMENTARY COURSE :**  
**AFU4C08)**

**31 A**

**2017 ADMISSION**  
**ONWARDS**

# **NOVEL**

**STUDY MATERIAL**

**FOURTH SEMESTER  
COMPLEMENTARY COURSE : AFU4C08**

*For*

**BA AFZAL-UL-ULAMA  
(2017 ADMISSION ONWARDS)**



**UNIVERSITY OF CALICUT  
SCHOOL OF DISTANCE EDUCATION**

Calicut University P.O, Malappuram, Kerala, India 673635

**31 A**

**UNIVERSITY OF CALICUT  
SCHOOL OF DISTANCE EDUCATION**

**STUDY MATERIAL  
FOURTH SEMESTER**

**BA AFZAL-UL-ULAMA  
(2017 ADMISSION ONWARDS)**

**COMPLEMENTARY COURSE:  
AFU4C08 : NOVEL**

*Prepared by:*

*Dr. Muhammed Abid.U P  
Assistant Professor,  
PG & Research Department of Arabic,  
Farook College, Kozhikode.*

*Layout: 'H' Section, SDE*

©  
Reserved

# وسميّه تخرج من البحر

ليلي العثمان

-1-

تطلع إلى السماء المعتمة، القمر غائب ، نجمة هناك تبرق كثغر امرأة في لحظة النشوة، غلالات رمادية من الغيوم تتناثر متباعدة متخاصمة، كل تأبى الالتصاق بالأخرى.

نسمات باردة تهب. بداية موسم الربيع الزاحف بعد لفحات الحر وعواصف الغبار.. البحر أمامه مجهول يمتد، ويتراقص موجه، ويتطاير بعض زبده حين تثور موجة إثر اهتزازات النسمات المشتدة بين حين وآخر.

وحده في <الطراد> تلفه وحشة. أحس بكآبة لزجة تتمدد داخل روحه، ووحدة كبيرة تفرش نفسها داخله ، ثم تتشعب إلى الخارج ، تتسع... تتسع.. يحسها تصير كالهالة حوله، تحيطه، تحصره كأذرع الساحرات .

حرك ذراعيه في الفضاء ... كأنه يريد أن يكسر حدة الهالة فتسقط في البحر، وتتوارى مع الموج، ويرتاح بعد إذ يحس أن الحصار قد انتهى.

تلفت يمنة ويسره، عيناه تصافحان البحر، تستقران على <<الكرب الأحمر>> الذي يدلله على موقع الشبكة.

قال لنفسه:

-هل سيأتي الخير هذه الليلة؟

الأرصاد الجوية أكدت الليلة أن مدا بحريا سيكون في الساعة الثالثة صباحا...

هل تصدق الأرصاد أم تفشل كما في كثير من الأحيان؟؟

هل ينتظر؟

هو لم يعتد الانتظار. غالبا ما يترك الشبكة بعد أن يلقيها وحيدا، ثم يأتي في الصباح مع مجموعة من الأصحاب ، فتمتد السواعد السمراء وتسحب الخير.

صورة الجماعة تموج أمامه ، وجوههم المبتسمة دائما رغم عذابات الأيام ومواجع الليالي، ينسون كل هذا ما أن يتحلقوا في الديوانية الصغيرة . تثور الروح بتذاراتها، ، وتتحرك الأذهان ، يتناقلون الأخبار ، يعلقون ، يتسامرون ، يلعبون الدامة ، والكوت، ويتبادلون نكاتا عارية يخفون بها عن أنفسهم، ويشيرون في دواخلهم رغبات ملونة، يفر بعدها بعضهم ، فيتغامزون عليه ، لا بد أنه أثير إلى الحد الذي فاجأه فيه وجه زوجته... أو .... من يدري!!

أخذته الصور، والكآبة اللزجة لا تفارقه ، تنبه لنفسه:

- لو استرخيت لهذه الكآبة فلن أفلح.

وقف.

تثائب جسده بحركات رياضية ، بينما الموج يعابث الطراد فيتراقص فوق صفحة الماء ، يحس نفسه يتمايل. يداخله السرور وكأن أصابع ناعمة تدس أطرافها في جسده وتدغدغه ، وحين أحس بالشبع

من تلك الدغدغة عاد يجلس ، يستريح ، يفكر ، كيف يقطع الوقت؟؟

وحده...

والليل الأسمر يشهد قلقه.

قال لنفسه :

-لم لا أمتهن الغناء هذه الليلة؟؟؟ زمن طويل مضى لم تتنفس فيه حنجرتي ، وربما صدئ الصوت.

في الديوانية يحبون صوتي... << حمد >> قال لي مرة:

- صوتك يشبه صوت <<عوض الدوخي>>

حين سمعته ابتسمت ، سخرت منه ... كيف يشبه صوتي بذلك الصوت الرخيم الرائع؟

لكن << خالد >> أزره وأكد:

-والله صوتك يشبه صوت عوض.

ثم، وكأنه يشجعني بذلك المديح رجاني بعنف:

-غن يا عبد الله ... غن، والله نحب صوتك.

هزرت يدي ، رفضت ، أصرروا فقلت:

-عافت نفسي الغناء منذ مات عوض.

-كنت تعشق صوته؟؟

-نعم ، كنت دائما أحاول تقليد صوته، نبراته، تلك الاهتزازات التي تتابع برقة من حنجرته الدافئة.

كرر حمد الطلب..

-إنني أحزن إذ أغني بعد أن مات . أتصور أنه سيأتيني في أحلامي وسيعاتبني .

قال خالد:

-هل سمع صوتك؟؟

-نعم.. عزمي صديق مرة إلى بيته، قال له أن صوتي يشبه صوته، لم يقل شيئا .. ابتسم بحنان.

واستل عوده، وبدأت أصابعه تعزف لحن أغنية "صوت السهاري" التي أحبها، وأمام هذا العرض المغربي

منه .... ترنمت بالأغنية .

-هل أعجبه صوتك؟؟

-قال هذا .... وأشاد . وفرحت كثيرا.

واندمجت الأصوات جميعها تطالبه:

-غن يا عبد الله ..غن.

ارتجف صوتي ، دمعتان انحدرتا مع الرجفة . شيء عميق يشق صدري كلما حاولت.

صمت رفاقي . لم يكرروا .. رحموني .

هذه الليلة تزف الرغبة في الغناء نفسه إلي . فلا أتردد . أسأل نفسي أن تغني . فقد تسمع الأسماك

صوتي . وتأتي يشدها الشوق إلى تلك الألحان البعيدة التي سكنت قلوب الأجداد. لا يعرفها هذا الجيل ، ولا

يبحث عنها ، لكنها ما تزال موشومة في قاع البحر، تتردد بألسنة جنياته وعرائسه، تتمنى لو تعود أيام

الغوص ، والحناجر تصدح ولا تتعب. هذه الليلة ، لم سمعتني الأسماك فستفرح. ستأتي حولي تتراقص .

ستؤنس وحدتي . ستكسر حدة الكآبة التي أحسها، ستصير بروقا تهزني فتنسكب من داخلي كل الأحزان ،  
وتحتفل بي ، كأن عودتي بالنسبة لها يوم عيد.

أه يا وجعي لو صببتك الآن أغنية طال رقادها. أه يا ألمي لو مزقت أكفانك التي ما تزال وارتعشت  
جثث فرحي التي تدرت تحت رطوبتك . أه ، أيتها الأغاني المخنوقة داخل حنجرتي ... كم أتمنى ... أن تنطلقى

\*\*\*

عصر ذاكرته ، جالت تسافر بين أبيات القصائد وكلمات الأغاني ، ارتجف صوته. بدا واهنا ...  
فسكت. ثم ، كأنه أحس بالخجل ، عاد ثانية .. ثم أطلق الآه...  
"أوه ... يا مال ... يا مال ..."

تحرك الموج . اهتز . أحس ضحكته ، كركرته غرغرة تأتي من القاع و تنفرش حول الطراد،  
تستعجله ، تستحته ، والزبد ساهر على رأس الموج. أكليل عرائس سابحة في موج العسل، أجنحة حمام  
بيضاء ترفرف ، أجنحة تعشق السهر ، وهو يعشق السهر فوق الموج، وحمامات العشق ما تزال تتراقص  
في فؤاده ، وينطلق بالأغنية .. " أه ... يا ساهر الليل... مثلي ما تنام ذكرني بالأحبة يا حمام ... "  
خرجت من قاع نفسه . كمين الروح التي أصدادها الزمن، واغتالت أفراسها الأيام. وهو ما يزال  
دؤوبا يسعى إلى البحر، يعانقه كل مرة وكأنه يراه للوهلة الأولى . هذا العشق المتوقد كالجمر أبدا، لا .. لن  
يمحوه الضجر، ولا التردد، ولا الخوف ، ولا اليأس . توقف .. ارتعد حين لم تخرج سمكة واحدة لترقص.  
ظن أن صوته لم يصل، سكت . انتظر لحظة ، لكنه تنبه أن في صمته يأسا.  
همس لروحه:

-اليأس شر ما يصيب الإنسان.

تابع أغنيته اللينة المناسبة. ترجرت في صدره بحنان. صداها يتحرك راقصا من حوله يمزق  
الهالة. ينبعث موسيقي لكل موجة ، فترقص رقصا مترنما منسجما. هي ذي أغنية ، يحسها تسبح ... تتفجر  
، تلعب دورها في إيقاظ الأسماك. النائمة، والشبكة الراسية على بعد قليل يهتز "كربها الأحمر" بخفة  
الطير. وطير الحب يهتف بجناحيه داخل صدره. من يلومه؟؟  
من ذا يلوم عاشقا لم يسفر الصباح عن وجه عشقه. لم تر الشمس ميلاده؟؟  
أه..... وانطلق صوته يكمل أغنية عوض التي يعشقها:

"يا لايمي في الهوى..... زاد العتاب.

ما تدري إن الهوى ...ليله عذاب...

وأشواق فيها انطوى... عمر الشباب....

وأسرار قلبي...."

يهتز الكرب الأحمر أكثر، يحس سباق الأسماك إلى الشبكة تتدافع أفواجا أفواجا كأنها تدخل إلى  
قلبه . تشاركه وجده وعذاباتة وتسمع شكواه، وتؤاسيه .

آه..... غدا ستعود الشبكة، سيزغرد قلبه ، سيحمل الخير، سيشم في أفواه كل سمكة رائحة يحبها، قد تحمل السمكات إليه شيئاً من القاع، من الذكرى التي لا تزال حية . ولكن ! آه لو وجد الشبكة فارغة ! لو أحس بأن السمكات ورائحتها ، وذكرياتها قد هجرته . لو وجد الشبكة فارغة إلا من بعض القباقيب والحجارة والأعشاب. سترتد أفراحه داخل صدره ، ستنهال أحلامه.

ارتعش، رفض الفكرة . قال في سره:

-لا ... لن تنهار أبداً. للأمل أجنحة محلقة حتى لو أصابتها سهام. هو يكره اليأس . يحارب الخضوع. يعرف أن البحر، هذا الكبير الجبار. رغم كل شيء حنون ، معطاء. تذكر طفولته . حبه. أحلامه. لم يفقد الأمل يوماً. لم تخذله صرخة عاذل كسر قدمه، ولم تهزمه مجرد فكرة أنه دون المستوى المطلوب . ظل رغم كل الظروف طفلاً حالماً، ورغم كل القسوة والحرمان، ظل الأمل يزيح عن نفسه أودية اليأس والخذلان.  
وحاضره...

هذه الزوجة الصارخة أبداً. وجودها إلى جانبه. مطرقة تزقق فوق السندان. تذكره بالزمن الذي ارتحل . تعيده إلى ذلك الشوق الأبدي بدفء داخل وجدانه. هي لا تدري أنها مهما صرخت وصرخت فإنه لا يتراجع. يبقى على حبه للبحر . يهرع إليه . ينزف عذابه بين يديه. وينسى في حضرته صوتها وإلحاحها. ينسأه وكأنه يود لو يفارقه إلى الأبد. لكنه يعلم أن الصوت هناك.

تذكرها . نظر إلى ساعته . دقق فيها أكثر. أدرك أن الوقت مضى بسرعة، وأنها ستنفلت عليه كالشرارة . عليه إذن أن يعاند حبيبه البحر. وأن يبتلع أغنيته، ويترك شبكته وحيدة ككل ليلة. وغدا في الصباح يقود إليها مع ابتسامات الرفاق، بسواعدهم يشدون الخير . سيرى في عيون السمكات نظرات يعرفها . وفي أجسامها لونا يعرفه. وفي أفواهها رائحة يعشقها. سيعانق كل السمكات غدا. سيفعل هذا . أما الآن فلا بد من العودة . لا بد.

\*\*\*

كل مرة يعود فيها من البحر ويقترب من البيت يتعوذ من الشيطان . وحين يدس المفتاح الرطب في ثقب الباب ، ويدلف بهدوء، يراها كالشيطان الذي تعوذ منه.

وجدها متكومة على أريكة مهروسة تحت ثقل جسدها . نعاس يداهمها. يشد جفنيها المتورمين . وهي تحارب النعاس. لا لأنها بانتظار عودته ولها وشوقا إليه. ولا لأنها تلك المرأة السحابة التي تنتظر أن يأتي حبيبها ظامناً لتصب عليه الوجد وتبلل عطشه. ولا لكونها كقلب الأم الذي ينتظر بقلق عودة صغيرها ليطمئن. إنها فقط تنتظره لتنهال بصراخها، وشكواها ، وأوامرها، وقد صدرت إليه حين حاول أن يرتمي بجسده المتعب على الأريكة المقابلة:

-لا تجلس. اذهب إلى الحمام . وانزع عنك حتى جلدك لو استطعت . يسحب نفسها طويلاً. يحاول أن يحشر صفاء داخل صوته، محاولاً أن يكسب منها عطفًا:

-مرة واحدة لو تستقبليني بابتسامة. مرة لو تقولين حمداً لله على سلامتك . مرة لو.....

تقاطععه بجده ، تتسع حدقتا عينيها الواسعتين ، تهزأ من لطفه:

-لماذا ؟ هل كنت في سفر؟

غبية !أو تتغايي. كيف لا تفهم أن البحر سفر. رحلة الصيد سفر. الانتظار هناك بين فكي مجهول سفر. تنسى أو تتناسى – لا فرق – أن البحر، رغم حنان الأم فيه ، غدار مخادع، شره، شرس كشراستها. تنسى كم التهم من غواصين . وغيب من " نواخذة" وحطم من سفن ، وسلب من بضائع، ونكب من تجار. يقترب ، لكنها تصرخ فيه:  
-ابتعد. إياك أن تجلس.

يجتر خيبته. لا فائدة ! حين وصل إلى باب الحمام. أحس بالندم.  
لماذا ينصاع إليها؟ لماذا لا يلتفت ويصرخ في وجهها العريض، ثم يصفعه صفعه تشل لسانه وتخرسها إلى الأبد؟ إنه لو فعل، فسيرتاح . مرة يثور ، بعدها يكسب المعركة . توقف... شيطان نفسه يغريه بأن يهم ويفعل . لكنه تدارك. تعوذ من الشيطان ومنها. قال لنفسه:  
-ما يضيرني . ما دمت باقيا على عملي . مرتاحا به . أتحداهما بأني مازلت أنغمس فيه رغم صراخها، وشكواها ، وضغوطها المستمرة. فلتذهب إلى الجحيم.

\*\*\*

نزع ملابسه . فاحت رائحة البحر. ود لو يلصق هذه الملابس بأنفه . ويظل يستنشق عبيرها حتى الصباح.  
ملاً البانيو . غطس في الماء . سبح فيه . أسبل جفنيه . تصور أنه داخل موجة حنون . تداعب جسده . تشير شجنا تشير رغبة. دعك نفسه. دعكها حتى أحس بأنه يقشر جلده . ويزيح عنه مساماته. وحين تأكد أنه أصبح نظيفا ، غادر الموجة . صب العطر على كل جسده، واختال وهو يخطو ملتفا بالمنشفة إلى حيث سبقته بعد أن أعطت الأوامر.  
اندس في الفراش.  
تأففت ...

اقترب منها. وماجت وكأنها بانتظار اللحظة:

-ها ! تأتي متأخرا. وتريد أن تزعجني.

- يا بنت الحلال.

توسل إليها.

لكنها هبت في وجهه :

-بنت الحلال تصبر كغيرها من الصابرات.

-من يسمعك يتصور أنني أظلمك.

استقامت في الفراش. التفتت إليه:

-وهل تتصور غير هذا ؟ أي ظلم هذا الذي تمارسه في النهار والليل. بحر .. صيد. أصحاب. بلاوي.

ويحاول تهدئتها:

-يا بنت الحلال. أليس هذا مصدر رزقنا؟

صوتها يذكره بشراسة :

\_لا ! كانت الوظيفة مصدر رزقك . تركتها لتتفرغ لهذا الملعون.

-البحر ! تعرفين أن خيره كثير . ربحه أكثر من الوظيفة . الحمد لله نحن بخير .

تزم شففتيا. تزفر:

-خير لك أنت ومتمعة.. البحر صار متعتكم . تتركون بيوتكم وتفرون إليه. هناك في " الطرايد" تلتقون.

ونحن نعد لكم عدة المتمعة : عشاء... مكسرات. والأشياء الأخرى ....مه . تعرفها بالطبع.

- أنت تعرفين وتجاهلين . أنا لا أذهب طلبا لمتمعة .

صاحت بغل فاح مع الصبيحة :

-لعن الله البحر.

تطلع إلى وجهها الكشر . بماذا يرد عليها وهي تلعن حبيبته ! تقسو عليه. فماذا يقول؟؟ وكيف يرد

اللعنة؟

سيغفر لها ككل مرة. هو يحتاجها الليلة .

يدنو . تبتعد . يدنو . تزفر:

-أف. ابتعد . رائحتك "زفر"

يتشمم نفسه. يضحك:

-يا بنت الحلال. أين الزفر؟ لقد كسخت جلدي .

-ولو ! زفرك نابت من لحمك. لا تكشطه ألف صابونه . يعاود محايلته:

-يا بنت الحلال.....

وبنت الحلال ترفضه . يستلقي على ظهره ليتشمم نفسه، يحس أنه البحر ، كل البحر ، هذا

الساحر الذي يعيشه ، وتذوب عيناه حين تلامسان زرقته، يسير إيه كالمنوم. حين تأتي " الزفرة" إلى

أنفاسه ، تعود إليه الحياة ، وحين يلقي بجسده المتعب في أحضان موجه يحاوطه الزبد، عرائس نشوانة

تغزل كيانه . ورملة، وسادة تغنيه عن نعومة كل الوسائد. ذلك الرمل يحدثه، يهمس له ، يدغدغ أذنيه،

وحصاه ، وقواقعه ، كل واحدة تحكي له عن مشروعها لليوم التالي عندما تسحبها الموجه إلى قلب البحر.

أه لو تعلم كم يعيش البحر !

يحاول ثانية ، يتودد إليها، داخل قلبه مرارة يود لو يزيلها بأي شيء . أن ينساها بأي شكل! أن

يطردها حتى لو كان الثمن التصاقه بجسد زوجة تكره رائحته. تكره بحره الذي يحبه.

لكنها ترفضه. تلقي عليه بسؤال مفاجئ:

-لماذا لا تشتري السمك من السوق وتريح نفسك؟؟

يحاول أن يهون عليها:

-ومن قال لك أنني تعبان؟

وتثور:

-وهل يجب أن يقول أحد؟ تتصور نفسك شابا، تنسى أنك كبرت وشبت؟  
ينتفض. إنها تذكره بالسنوات التي مشت أرجلها على جبينه ، وشعره. حتى لو بلغ الخمسين، فإنه يحس  
بنفسه نشيطا، قادرا على أن يداعب البحر، أن يسحب الشبكة ، أن يسهر ، أن يتعب. إن هذا يطيل عمره ،  
يجدد شبابه. يثري أيامه ولياليه بالصبر، وبالأمل . تعاف نفسه البقاء، يترك الفراش الذي اشتهى أن  
يحضن جسده بعد التعب . وبعد دفء الحمام.

تناديه:

-أين؟

-إلى الشيطان

ويتعالى صوتها:

-بل إلى البحر.

ينسحب مسرعا، بينما صوتها يلاحقه ، وسؤالها كالسهم ينطلق ليشق فؤاده:

-أنا لا أدري ما الذي تحبه في هذا البحر؟

أه لو تدري...

يصفق الباب وراءه، كأنه يصفق فمها . هذه الغيبة ، هل تستطيع أن تتحسس الجرح النائم

باسترخاء ولذة داخل صدره؟؟

كيف لهذه اللعينة أن تفهم أنها بسؤالها المتكرر عن حبه للبحر إنما تفجر سكون العاصفة،  
وتصاعد الرعشة في أعطافه. تهز شجرة الماضي البعيد فتتساقط الذكريات، متسابقة، توقظ كل شيء  
نام. أه لو تعلم أنها بسؤالها المستمر ، إنما توقظ في قلبه وجهها ، فتعود عينها إليه، تولدان من جديد في  
كل مرة : جمرتان حارقتان . لؤلؤتان صافيتان، ثمرتان ناضجتان . تهتران أمامه . فيشرق كل شيء ... كل  
شيء فيها... حتى ... اسمها...

\*\*\*

-2-

وسمية

كان اسمها وسمية.

يا ذلك الوجه الأسمر النابض بلون الصحراء، يا نجمة الليالي المتألثة بالسهر، وأغاني "المالد" وأمازيج الأطفال، و " القرقيعان"، والسباحة في برك المياه الممتدة داخل الشوارع الضيقة. وسمية...

حبي الأول الذي كان . لكنه لم يعيش طويلا في حيننا، ذلك القديم. أين هي الآن خريطة المدينة القديمة ، كل شيء نسفته الأيدي باسم الحضارة . اغتالت المباني الكبيرة طفولتنا ، ودكت أفراسها . نسفت حكاياتها المرسومة على الجدران ، بالفحم الأسود مرة ، وبالأصباغ مرة أخرى ، حكايات مرسومة بدم القلب ، لا يعرف مكانها إلا من كتبها، ومن كتبت له .

كل شيء أزالوه : الأحواش الكبيرة التي تحضنها جدائل الشمس كل صباح فتوقظ الأجفان الغافية فوق الأسطح، وفي اللواوين . حتى أجفان الأبقار والأغنام الهاجعة تحت عرائشها تتنفس. يعلو ثغاؤها . تستجير من جوع الليل ، ومن الخير الذي أثقل أئداءها. أين زمنها؟؟ أين خيرها؟؟ كلها حرموها زمنها وحرمونا تلك النهارات التي تتحرك بخفة ، تتسارع لعمل دؤوب لا ينتهي طوال النهار. تبدأ به الأمهات في المطبخ، وتحت عريش البهائم . وعند مواقد الخبز، بينما تستند الجدات إلى المساند يسبحن الله ، يهللن ، أو يداعبن الأطفال الرضع. بينما تستند الجدات إلى المساند يسبحن الله ، يهللن ، أو يداعبن الأطفال الرضع، وقد تصرخ إحداهن حين يتلوث ثوبها،، و"ملفعا" ببول أو قيء.

الحياة كانت حياة . نحسها منذ أن نخرج حفاة إلى الشارع الطويل، نقطعه متسابقين حتى نصل نهايته، لنصافح وجه "أم علي" بائعة الباجلاء التي تتربع على الأرض الرطبة . نفرك أعيننا ، نفتت قذاها المتجمد لنرى كم مغرفة تصب، ونسقط لها " الأنتين" في وعائها المعدني، فترن كزغرودة . نحمل "ملة" الباجلاء الحار بينما بخاره يتصاعد إلى أنوفنا، وتهدأ الخطوة أسرابا . أسرابا نعود إلى البيوت، بعضنا يحمل خبز التنور الحار وبقاعاته المنتفخة تشوق بعضنا فنخطف من على رؤوس الأصحاب واحدة. نتقاسمها، نلتهمها ثم رغيغ آخر... وآخر.... ولا يهم بعد ذلك لو أنبونا ، أو دعكوا أفواهنا بالفلفل الأحمر، أو قرصوا ما بين سيقاننا.

حياة هادئة ، شفافة بعواطفها ، غنية بالحب ، بالرحمة ، بالتواصل . كلها سحقوها . وفرقوا البيوت. خربوا الملامح. صارت مدينتنا دخيلة علينا. وضاع بيتنا.

أين هو الآن؟ وكيف كان؟؟

وأين هو بيت وسمية؟ لم يبق منه سوى تلك الشجرة ، سحقتم الآليات الجدران . والسور . والأعمدة . وأبقت على الشجرة ، كأنها تعتمد أن تترك لي شيئا . شيئا حبيبا إلى نفسي. أتعمد أن أمر من هناك كلما دخلت السوق، أستظل تحت الشجرة الوحيدة . حينئذ أخذ يشدني أن أتفياً ظلها لحظة من الزمن . فتفوح عطور السنوات . سنوات الطفولة . والصبا.... ووجه وسمية.

\*\*\*

كان البيت كبيراً ، مربع الحوش . تتوسطه بركة ماء يتدلى دلوما . وكم سقط الدلو . وكم تراكضت ووسمية لاقتلعه من منفاه بالملص . وحين يفلح أحدنا ينتصر على الآخر . ويغيطه .

حول البركة ، كانت تنحسر في دوائر ، قطرات الماء المتساقطة من الدلو ، وكنا نزرع حولها بعض الشعير . ونتراهن من يكبر نبتته أكثر . وكان شعيري يطول بسرعة . تغتاظ وسمية ، لكنها تطمئن نفسها في كل مرة وتقنعني :

-شعيرك يطول بسرعة لأنك ولد ، ولأنك أطول مني . ت

وأتغاي :

-هل صحيح أنا أطول منك؟؟

تتحداني...

تقترب مني .

تلتصق كتفها بن . أحس بالفرح .

تحتك أكثر...وتؤكد:

-شوف ... شوف . أنت أطول .

وفي كل مرة أوحى لها بأن تتحداني ليلتصق كتفها بكتفي ، وأنزف من تلك اللحظة كل الفرحة . من الحوش الكبير الذي تلتف حوله اللواوين من ثلاث جهات ، تتفرع أحواش أخرى : حوش المطبخ . وفيه مطبخان ، واحد كبير لأيام الولايم ، وآخر صغير تدخله أم وسمية كل يوم ، فتفوح إلى خياشيمي روائح " المكبوس " و " المعدس " . أتحايل في الذهاب مبكراً ليحين موعد الغذاء . فتسكب لي أم وسمية .

-خذ يا عبد الله . تغد اليوم مع أمك من غذائنا .

وأفرح .

أحضن طاسة الأكل إلى صدري . رغم حرارتها لا أشعر بها . أهرع إلى البيت لأكل مما تأكله وسمية . ولا أنسى قبل أن أخرج أن أملاً طاسة التراب لأم وسمية . أضعها في البالوعة التي تأخذ زاوية في حوش المطبخ . أنقيه من الحصى حتى لا تخدش يدها وهي تفرك القدور . تشكرني ، وفي كل مرة تردد أنني ذكي . وطيب القلب . من حوش المطبخ تدخل إلى حوش البهائم . هناك كانت متعتنا الكبيرة . تنتصب على طول الجهة الشرقية حظيرة كبيرة . مليئة بأنواع الطيور ، بعضها غريب جاء به والد وسمية من سفراته إلى الهند وإيران . الوز . البط . بألوانه الرمادية والبيضاء . والخليط ما بين اللونين مع الأسود . ودجاج كثير .. وديكة تتصارع أحيانا وتهداً . وتتنافس في أصواتها لإغراء الدجاجات . ببغاوات ملونة كم قضمت أطراف أصابعنا ونحن نمدها لها " بالسبال " وديك رومي لا أدري لماذا كنت وسمية نكرمه . أما الطاووس المغرور فقد كان ينفش ريشه الجميل كلما رأني ووسمية ترتاح تحت ظل الحظيرة ، كأنه يريد أن يسرقنا من خلوة الراحة بعد أن نجتمع البيض لأم وسمية . وكانت تكافئني في كل مرة:

-خذ يا عبد الله . خل أمك تسلقه لك ، أو تقيه .

كان الفرحة يطيرني : بيض! وأركض إلى البيت . كم تعثرت . وكم تكسر البيض وحملت بدلاً منه

طعم دموعي .

مرة خرجت وسمية ورائي ، . رأني منكبا على البيض المكسور ألعق صفاره المختلط بالتراب ، ومعه دموعي المالحة . رفعت رأسي . أنبتني بود لا يمكن أن أنساه:

-ليش يا عبد الله تأكل البيض وسخ؟؟

خجلت منها . رفعت رأسي وذقني ملوث بالأشياء . رفعت طرف "بخنقها" ومسحت وجهي ثم قادنتي

ثانية إلى البيت . وفي جراحة قالت لأمها كل شيء .

ودنت أم وسمية . مسحت على رأسي . وعاتبتي برفق. ثم درست في يدي " بقشه" مليئة بالبيض ، وبالزبد ، وبعض الحلوى.

يا لوسمية !

ويا لأمها الطيبة الكريمة المعطاء!

وأبوها الذي يسافر دائما يجوب البحر..... يغيب . يغيب. ثم يعود، يسأل عن أمي أول ما يسأل .  
وحين أذهب معها أرى قلائد، وأساور تزين بها وسمية نفسها وتسألني :

-حلوة؟؟

أهمس:

-أنت حلوة.

تصرخ في وجهي:

-مو أنا ... العقود

أمز رأسي . أحب صرختها . أداعب عقودها. وأساورها، وأؤكد لها:  
-حلوة.

وتهزأ بي :

-لو كنت بنتا للبت مثلها.

-وأثور:

- أنا رجل . ولا أحب أن أصير بنتا.

- أبا تحب البنات؟

ويرهق قلبي سؤالها، لكنني أجيب:

-نعم . أحب البنات.

وتغتاظ:

-كل البنات؟؟

وأدس نظرتي في عينيها السوداوين اللامعتين . هل أقول لها؟ أم أغيظها؟؟ كنا بعد طفلين.  
ووسمية تحبني. وتعلم أنني أحبها . لكنها تسأل وتلح؟

-تحبني؟؟

.....-

-هل تحبني؟؟

أفكر قليلا قبل أن أجيبها لأطيل عليها:

\_قليلا .

تضربني على يدي:

-يا كذاب أنت " تموت علي "

وأموت...

أموت ويدها الناعمة السمراء بخاتمها " الشذر" تحرك يدي ، تداعب ما بين أصابعي . تفرك أطرافها وصوتها الدافئ ينساب من داخلها. يحمل صفة خاصة . كأن له لونا ورائحة . ومساحة ، وجناحين يطيران ثم يستقران في عش قلبي.

في الناحية الغربية من حوش البهائم كثير من الأبواب الهندية المحفورة الجميلة التي يحضرها والد وسمية معه ، ثم يبيعهما للتجار. وصناديق وتمائيل وصور.

كلها تحت عريش من الخشب حتى لا يطالها ماء المطر. على سطح العريش طبقة من "القار" الأسود. كان يسبح بعضه أيام الصيف، فنعلكه حتى تسود أسناننا.  
 كنا نتراكض. ونلعب مع بعض الأطفال لعبة" اللبيدة". أحيانا كان يشاركنا "فهد" أخوها الذي لا يحبني. مرة لبدت ووسمية خلف أحد الأبواب. وحتى لا يرانا أحد التصقنا التصاقا شديدا. وأطل وجه فهد. فزع إذ رأنا متلاصقين. شد ووسمية من جديلتها، ألقاما على الأرض. وضربها. صرخت وجاءت أمها مستفسرة. وكان أن صرخ فهد مدافعا عن نفسه:  
 \_كانت تلعب عروسة" ومعرس" مع عبد الله.  
 لم تصدق أم ووسمية. خبطت على رأسه:  
 \_ يا كذاب. ووسمية وعبد الله عاقلان لا يفعلان ذلك.  
 صورة لن تغيب. زاغ نظري إلى السماء. نسيت ووسمية المعفرة ملابسها بالتراب. ودموعها الساخنة المنسابة. وحلمت. حلمت أحلام هفهافة. أحسست شيئا خفيفا يرفعني حتى السماء. وقلبي يطير هل حقا أصبح معرسا. وتصير ووسمية العروس؟؟؟

\*\*\*

بيني وبين ووسمية فوارق كبيرة.  
 هي ابنة الحسب والنسب. وأنا ابن " مريوم الدلالة".  
 هي ابنة تاجر كبير. يجول ويصوّل في بلدان الله ويأتي بالغنائم، وأنا ابن رجل لا يذكره أحد...مات.... وتركني يتيما.  
 هي ابنة البيت الكبير ذي الأحواش المتعددة. وأنا ابن مريوم التي تؤجر غرفة عند أحد البيوت المعروفة وتنحشر معي في فراش واحد خفيف.  
 هي ابنة أمها ذات الأصل.. والفصل. وأنا ابن مريوم التي تحمل بقشيتها وتدور على البيوت. كنت أرافقها أحمل بقشة ثانية. أو ربما طاسات الزلابية التي تصنعها وتبيعها. أدخل كل البيوت. أرى كل الأمهات. وكل البنات. لكنني كنت أحب بيت ووسمية... وأحب أم ووسمية... وأحب ووسمية. وكثيرا ما كنت أقضي النهار مع أمي في بيتهم. أراها وهي تساعد أم ووسمية في الغسيل. تدعك الملابس. يتساقط عرقها ليختلط بالماء والصابون. كنت ووسمية نتحلق حولها نرغي لها صابونة"الديك". ثم أنفخ يدي. تطير الفقاعات، أتعمد أن أنفخها في وجه ووسمية. تدخل إلى عينيها. تحرقها. تدعك ثم تدمع عيناها الجميلتان. وتصرخ بي أمي رغم أن ووسمية لم تشتك.  
 \_ يا ولد! يا كلب. حرقت عين البنت. الله يعميك.  
 وتدافع عني ووسمية:  
 \_ لا... لا تدعي عليه.  
 تعصر أمي القطعة التي بين يديها وتجيّب:  
 \_ شلون ما أدعي عليه. يفعل هذا مع عمة من عماته.  
 عمة من عماتي؟؟  
 لماذا؟؟  
 أمي دائما تقول هذا وأنا لا أفهم.  
 كيف تكون عمتي.  
 أمي أيضا تنادي أم ووسمية ب: عمتي، وتأمري أن أقول لها يا عمتي كلما ذهبت لأوصل لها غرضا...  
 أو أجيئ بشيء منها.

صوت وسمية المدافع عني يزغزغني :

\_ أنا مو عمته . عبد الله أخوي

أفرح.

أنتصر على أمي .

أتمادي في مداعبة وسمية. نتراكض . نتسابق. نخطف بعض الثمار من السدرة المتدللية بعض فروعها . أنسى في تلك اللحظات أن وسمية عمّة من عماتي . وأنها ابنة أمها وأبيها. وأنا ابن مريوم. أنسى كل شيء . إلا أننا طفلان . قلبان ، رغم كل الفروقات، يحلقان ببراءة . ومحبة ، في سماء عذبة .

حين أعود إلى البيت . أتذكر ردع أمي . أحزن . أحبس رأسي بين ركبتي . أعاف الأكل. وتدنو أمي

تحاول :

\_ ما بك يا عبد الله؟

وتنحدر دموعي:

\_ لقد" هاوشتيني " أمام وسمية.

تمسح على رأسي:

\_ يا "عبيد" لا تزعل. وسمية لا ترضى أن أهواشك. هي تدافع عنك

\_ قلت أمامها أنها عمّة من عماتي . هذا كلام لا أحبه.

وتسحبني أمي . تشدني إلى صدرها. تواسيني:

\_ يا عبد الله . هذي سنة الحياة. خلقها الله : عم، وخادم. غني ، وفقير ، حاكم. ومحكوم. الدنيا مختلفة .

هي فعلا عمّة من عماتك .

\_ هل أنت خادمة عندهم ؟

\_ لا . ولكني أعمل عندها وعند غيرهم معاونة مني.

أتشبهت بها:

\_ لا عملي عند أحد . إنك تتعيبين.

\_ أتعب. وأترزق. أخذ حقي .. حق تعبي. وإلا من أين نعيش؟؟

\_ أم وسمية تعطينا كل شيء.

\_ لا يا عبد الله . لا يجب أن نعتمد على الناس. يجب أن نعرق ونتعب وليس عيبا. كل الناس يعملون.

\_ إعملي فقط عند أم وسمية . ألا يكفي؟؟

تضحك. وتدللني:

\_ يا عبد الله . أريد أن أراك دائما سعيدا. تلبس دشاديش نظيفة. وتأكل الدسم. هذا لا يتحقق إلا بالعمل.

وفي بيوت كثيرة . كنت أحب كلام أمي . وكنت أرجوها دائما:

\_ دعيني أعمل وأساعدك.

\_ أنت لا تقصر . تحمل لي الأغراض . ولا زلت صغيرا.

وأعدما:

\_ حين أكبر. سوف أشتغل . وأريحك. وأحضر لك كل شيء. أصير غنيا وأحضر لك هدايا.

تضحك أمي . تقرص خدي مداعبة:

\_ ولو وسمية . ماذا ستحضر؟

يصيب وجهي لسع ساخن . أخجل . أنكس رأسي مبتسما، وأمي تصر بسؤالها:

\_ ها ! تحبها يا عبد الله؟؟

أهز رأسي بالإيجاب ، والخجل لا يزال يحرقني .

وتتنهد أُمي :

\_إيه يا عبد الله . وسمية" " حليوة" وأمها بنت حلال . طيبة . " كافة عافة" .

تصمت لحظة ثم تواصل كأنها تذكرني:

\_إنتبه يا عبد الله . إياك أن تزعل وسمية . أو أمها .

أرد عن نفسي تهمة لم أفعُلها:

\_ أنا لا أزعلها . هي تحبني . وتعطف علي .

\_أعرف يا وليدي - وتحضن رأسي- ولكن هؤلاء رغم طيبتهم لا يحبون أن يتناول أولاد الفقراء على أولادهم .

فقراء.....!!

أنا إذن ابن الفقراء .

\_لماذا أنا فقير يا أُمي؟؟

يفاجئها السؤال . لكنها تتماسك:

\_ربك يعلم يا وليدي .

وأفاجئها بسؤال آخر:

\_وهل أولاد الفقراء مكروهون؟

لا . أولاد الفقراء الطيبون . العاقلون . لا يكرههم أحد .

\_وهل بنات الأغنياء لا يحبون أولاد الفقراء؟؟

تفهم أُمي ما يدور بخليدي . تطمئنني:

\_الحب لا يعرف غنيا ولا فقيرا . كل الناس تحب . الأولاد . والبنات ، ولكن!

\_ماذا؟؟

بلهفة سألتها فتلعمثت:

\_يعني أقول.....

أعطيتها السؤال بشكل آخر . شكل يلح علي . وددت أن أعرف .

\_ يعني ... لا يزوجون بنات الأغنياء من أولاد الفقراء .

تنهدت أُمي . مسحت على فرقها وشدت جديلتها الرفيعة:

\_إيه... الغنى للغنية . والفقيرة ... للفقير . هذا حال الدنيا .

وأنا فقير .

وأحبك يا وسمية .

وربي يعلم أنني أحلم . وأحب أن أراك كل يوم . ولا يحرمني منك أحد . وأحلم أحلاما كبيرة . أكبر مني . أن أصبر غنيا .. لأتزوجك . وأقلب الدنيا . أصير أبا لكل الفقراء . وليس عما . سأرفض أن أكون غير ذلك . إلا زوالك .

وأعلنت لأُمي ذات يوم:

\_حين أصبر غنيا . هل يرضون بي زوا لوسمية؟؟

سحبت أمة كبيرة . وصدمتني:

\_لا . لن يرضوا

\_قلت يريدون غنيا .

ونطقت أُمي دون رحمة:

\_ويريدون أصلا . وفصلا . حسبا . ونسبا . ... وأنت؟؟ ابن مريوم الدلالة مهما صرت واستويت .

حنقت علي أمي.

لماذا صارت دلالة؟ صارت سبه.. ولكن!!

ماذنبها؟ هكذا وجدت نفسها. وهكذا تعيش.

أمي طيبة . حنون . مكافحة . لا ...أبدا هي ليست سبه. وإن كانت وسيمة تحبني حقا. فلتنس أنني ابن مريوم الدلالة.

هكذا كانت الأفكار تؤرقني . طفلا بعد ما أزال أفتح للحياة. لكن الأشياء التي كانت أكبر مني تفجعني . وتقلقني . والفرق بيني وبين وسمية كبير. مهما فعلت فلن تكون يوما لي . لن تتحقق تهمة أخيها فهد ونصير عروسا ومعرسا ، إلا إذا حدثت معجزة ، ولم نكن في زمن المعجزات.

منذ ذلك اليوم أخذت أتجاهل التفكير في المستقبل . ذلك المجهول الذي يخضع لحاضر مقيت يستمر. ويزداد ، رغم كل الحياة البسيطة الوديدة رغم المحبة والتأليف . تكبر قيوده معنا. نسمعها . نراها. فروقات لا تظلم أحدا. لكنها تعيش . تنمو . وتؤكد وجودها في كل موقف.

منذ ذلك اليوم أردت أن أعيش اللحظة التي أرى فيها وسمية ، نلعب ببساطة معا. نتحدث . نتبادل الأشياء الصغيرة . أنا أذهب إلى البحر وهي تنتظرني عند باب بيتهم . أعود بعد سباحة يوم كامل. أحمل رملي . ورائحتي . وما حملته لها من قواقع. وزبابيط. وأسماك صغيرة . تطل بوجهها الجميل. ثم تنفلت من الباب . طفلة تلتصق بي. تتنفس رائحتي . وتهمس:

\_الله ...ريحتك بحر.

\_تحبين ريحة البحر؟

\_أحب ريحتك.

\_لماذا لا تأتيين معي إلى البحر؟

تتهمد ، فتشق النهدة قفص صدري وتستقر فيه علامة سؤال دائم:

\_نحن البنات لا نذهب إلى البحر ، ولا نسبح إلا مع أمهاتنا وجداتنا.

-آه ... ولكن الأولاد يذهبون أيضا. ويلعبون. ويرون البنات...

تضحك:

\_ "ميخالف" مع أهلنا. وليس وحدنا.

وأتذكر أيام الجمع والعطل.... حيث يزدحم الشاطئ بالناس ، أمهات ، جدات ، عمات ، وأولاد، وبنات. و.... أمي مريوم.

تغسل الأمهات شعور البنات المحنأة. وتغسل بعضهن الثياب ، وأخريات تغسلن المواعين والسجاجيد والألحفة . وأمي مريوم تغسل "للعمات" وتدعك الملابس والشعور . رأيته أكثر من مرة تدعك شعر وسمية . وكانت تأمرني :

\_إذهب بعيدا. إلب مع الأولاد. يا الله! عيب.

وأحبس خجل وسمية . ابتعد . اجلس ليس بعيدا . أراقب ظهرها الذي يطل من الماء. وشعرها الطويل الناعم يحوم خصلات فوق سطح الماء تعابثه الموجات. وأمي تفرك . وتفرك ظهرها . شيء كان يوشوشني . يجعلني أحبها. وأخاف عليها حتى من نظرتي الطفلة.

نظرة كبرت . وكبرت مع الأيام . واستطال الجسد الصغير ، واستطال جسد وسمية . وطال شعرها أكثر . وطالت مسافة اقترابنا. لم تعد تذهب إلى البحر.

كبرنا.....

صار البحري وحدي.

-3-

تكبر وسمية .

تختفي خلف جدران البيت.

و حرم علي الدخول . أنا الذي كنت أسرح وأمرح، وأحمل بقشة أمي .

وأرغي لها الصابون، وأطعم الببغاوات .. وأملأ طاسة التراب.

أنا رفيق طفولة وسمية . حرموا علي الدخول . صار مكاني على عتبة الباب. أجلس وتحرق مقعدتي

لسعات العتبة التي صلتها الشمس والتي تنصب على رأسي حرارتها، تتسرب إلى جسدي، يجف ريقني،

وأخشى رغم كل ذلك أن أمد يدي وأطرق الباب.

مرة كان حظي سعيدا. خرجت أم وسمية . لمحتني مختقن الوجه. عطفت علي. أدخلتني الدهليز

وأحضرت الماء، والتمر، ورمانة أكلت حباتها حبة حبة.

وصدفة أخرى أطل وجه وسمية . فانتشرت سعادة جامحة على وجهها:

\_عبد الله !!

\_وسمية.

\_ ماذا تفعل؟

وأشرت إلى الداخل:

\_ أنتظر أمي .

تنهدت:

\_ تخاف من فهد؟

هزرت رأسي أويدها.

وسرحت.

\_ بماذا تفكرين؟

\_ بالبحر.

أجابت كأنها تحلم.

\_ لم لا تذهبين؟

\_ ممنوع . أنت تعرف. " أبوي " مسافر. وفهد.....

\_ أنت. أما .... زلت تحبين رائحة البحر؟؟

وأغضت! كأنني سألتها: أما زلت تحبين رائحتي؟!

قالت:

\_ أحبها أشمها في الصدف، والقواقع، لقد لونتته وخبأته.

\_ هل أراه؟

\_ لا

اقترب منها. تتعانق أنفاسنا البعيدة . أقترب أكثر. تدفعني من صدري بشيء كثير من الخوف:

\_ابتعد. قبل أن يراك أحد.

\_ قصدك فهد.

ارتعشت:

\_ فهد لورأك فسيضربك .

أذكرها:

\_ أمي في الداخل.

تحزن :

\_ولو ... أنت تدري

وتدخل .

تغلق الباب بلطف كأنها تخشى أن يصفع وجهي . وأبقى وحدي ، أنتظر أمي . أنتظرها حتى يصيبني الملل. فأحمل رائحة البحر، ورائحة اللقاء الشذي القصير ، ورملي المتناثر من أقدامي ، وأبتعد ، والرمل يرسم المسافة ما بين بيتهم ، وبيتنا.  
 أه ما أطول المسافة كانت . وما أبعدهما.....  
 عذبتني .... وقهرت طفولتي كل المسافات.....

\*\*\*

طفولتي ... وطفولة وسمية. طفولتان متناقضتان. كل شيء يختلف كل شيء يؤكد أن أي حلم لا يجب أن يداعب خيالي. أمي \_ مريوم الدلالة\_ تحظى برؤيتها بينما خرموها علي بعد إذ عشنا الطفولة معا وكبرنا. سنوات قليلة حسبوها أكبر من عمرنا مرتين .... كبرونا لأنهم يريدون أن ننفصل.  
 هكذا التقاليد . والأصول.

وفهد !! الذي يقف بالمرصاد، حتى في الشوارع الأخرى ، وكأنه يذكرني بوجوده أبدا.  
 كل شيء مختلف بيننا..... شيء واحد لا يعرف الاختلاف ، ولا يعترف به . يعشعش في القلوب . وسمية كانت تحبني. تتغذى بحكاياتي الصغيرة وتشبع من رائحة البحر التي أحملها في أنفاسي . وجلدي . ولك شعرة في رأسي.

صوت الحب ينمو . ويتعرج في ممرات النفس. ويرقد. لا تخنقه السنوات. ولا يأكله الحرمان: ولا ترده الروح.  
 أه يا وسمية .  
 راحت الأيام.

وما راح حبك من قلبي . بعده ما يزال مرتاحا. يأخذ إجازة لدقيقة ويصحو لساعات . ينام ليلة ويفيق ليالي طويلة . أفاصي فيها ، أتعذب ، أحلف ألا تطأ قدماي بحرا، ولا تصافح عيناي موجا، ولكن الحنين يجذبني إليك. إلى هناك ، إلى البحر الذي التقينا عنده أول مرة.

\*\*\*\*

\_4\_

وصل إلى الطراد . ألقى بنفسه داخله .

أحسه بيته . صار عشه الذي يأوي إليه وحيدا . ويحضن طيفها . يعود بذكرياته معها يتنسم مع كل نسمة مالحة تأتي شذى من عطرها .

ويتذكر

يتذكر .

ويغني . يطربه صوته الذي حبسه فترة . تتفجر الأغنية ، ويحضنها الليل لينشرها سحابة عشق . ودقة قلب ، لا يريد أن تردما إلى الصدر الذي تنبع منه . يريد لعطرها أن يفوح . أن يوقظ الأسماك . وجنيات الليل . وعيون وسمية الراقدة منذ زمن .

\*\*\*

الماء يتلألأ .

البحر هادئ .

رطوبة تتماوج آتية من العمق . تتناثر حوله . وهو قابع في الطراد وحيدا . تداعب أنامله سيجارة مطفأة . يراقب الكرب الأحمر يتلاعب به الموج ، وقلبه يفرح كلما اهتز .... يغيبه الزبد . أو ارتفاع الماء . ثم حين يطفو . يطفو الحلم إلى قلبه وذمونه يسافر إليها مسرعا من البيت بعد أن رفضته . هي الآن تنام مرتاحة من زفري . وأنا هنا وحدي .

المجنونة !

تتصور أنني مع الأصحاب . نلهو . نشرب . ونضاجع جنيات البحر . هي لا تدري أنني آتي وحيدا لموعد رسمته في خيالي . وأتمناه أن يتحقق .

ربما تأتي !

من يدري !

ربما هي تشناق لي ، ما يزال قلبها وحده . لم تأكله حيوانات البحر . ولم تمسه الأعشاب ذات الأيدي الجائعة . ولم يتسل قبقب صغير جائع به ويفتته .

آه ! يا مواعيدي الضائعة . يا حلما أنا وحدي أنتظره كل ليلة وأصطبغ بالزفر ، وأحتمل صراخ

بقرتي وأوامرها :

\_ اغتسل ! أكشط جلدك .

وشتائمها :

\_ لعن الله البحر ؟ ويوم البحر .

وتساؤلاتها :

\_ لم تحب البحر ؟؟

\_ البحر خير .

وزعيقها:

\_خير البحر راح.

\_الخير لا يروح.

وتطاير حنقها:

\_نحن في زمن النفط

\_الخير في القديم.

\_الحياة تطورت.

قتلوا الطفولة . مسخوا بيوتها. و.....

تنهمر ذكرياتي وهي تقارن بين ذلك الزمن، وبين هذا .

وسمية تحب البحر. كان الخير يأتيها منه. وكنت أنا أحمل لها رائحته. زوجتي تكره البحر. لم تجرب خيره الذي كان. ولا تحب رائحتي.

وسمية كانت تلتصق بزمناها. راضية . سعيدة. وهذه رغم كل عطاءات زمنها وقشوره. تكره كل شيء تتبرأ من كل شيء ، حتى من رائحتي . حتى من الخير الذي أجلبه . وتريد الوظيفة.

امرأة متمردة . وأنا ..... الرجل السابح في حلمي. في وهمي . الأمر صعب أن تفهمه امرأة مثلها. صعب أن أطلبها بأن تحب زمنا أحبته، وبحرا عشقته. تظنه زمنا بليدا جافا ليست فيه كل المتع التي حملها زمنها. وأراه ذلك الزمن الأصيل الذي لم يفقد ألفته وسعادته.

صعب أن أصارعها . وأن أناقشها. وأن أجذبها إلى زمن عشته. وكبرت سنة بعد سنة وهو يكبر معي ويبقى.

وحدها وسمية تعرف. وتصدق . وتحبه.

\*\*\*

تهرع إليه موجة متمردة . تهز الطراد . تهزه . ويرتمي متوسدا كفيه. عيناه نحو السماء . كلما برقت نجمة ، لمعت في رأسه شرارة ذكرى.  
يغلق جفنيه.

يردد أغنية في سره.

يحادث روحه . يتمنى لو يسافر به الطراد إلى سنوات ماضية، والذكرى تمزق صدره فيسأل نفسه:

\_ هل كنت أنا السبب؟ هل كان أخاها؟ أم..... هل كان الخوف؟ ذلك الحصار المفروض . وعيون الناس عسس. وعيون النساء الطالة من الشقوق التي حفرتها في جدران الطين، وعيون أهلها. فهد. أخوها الشرير الذي كسر قدمي ذات يوم وصرخ:

\_ إياك أن تأتي ثانية هنا . لقد صرت رجلا.

وحاولت . أنا ابن مريوم الذي لا بد أن يحمل طاسة الزلابية ، وبقشة الثياب:

\_ يا فهد. أمي ترسلني بالأشياء لكم.  
 لكنه لم يهتم. تفل في وجهي وصرخ:  
 \_ لا نريد شيئاً أو قل لأمك أن تحضره بنفسها.  
 \_ أمي مشغولة. ولا بد أن تصلكم الأغراض .  
 \_ لا أريدك أن تأتي والسلام. أختي كبرت. وأنت كبرت..... أيام الطفولة انتهت.. هل تريد أن يتكلم علينا  
 الناس؟  
 هكذا.....

وجدت نفسي في لحظة وقد كبرت، وكبرت هي. وكبرت الفوارق بيننا. وصار علي أن أبتعد. ألا  
 أطأ باب بيتهم. فما عدت ذلك الصبي الصغير الذي يحمل بقشة أمه ويدلف وراءها. وقلبه يسبقه. حتى  
 شارعهم. علي أن أحاذر المرور منه. أو حتى مجرد التفكير بذلك. وإلا سيكسر أخوها رأسي بعد أن كسر  
 قدمي .

ووسمية التي كبرت لا تخرج إلا بصحبة أمها. تغلف جسدها الباسق بعباءة حريرية سوداء أين  
 منها عباءة مي! وتخفي عينيها الجميلتين تحت البوشية " التور".

وأنا! لا ينعش قلبي إلا مراقبتها من البعيد، حين يصدف وألمحها مع أمها. في السوق. أو عند باب  
 أحد البيوت. أو عندما تكرم أمها أمي بزيارة مفاجئة. لتأخذ غرضاً تحتاج إليه. أو توصي عليه. فتقف في  
 حوش البيت الذي تستأجر غرفتنا فيه. وتكون نسوة كثيرات وفتيات وأطفال يسيل مخاطهم. وتفوح  
 روائح سراويلهم، يتصايحون. ويتقافزون يسدون الطريق أمام عيني التي تتعلق بوجه وسمية ولا تريد  
 أن تلمح سواه.

كنت أجلس داخل الدريشة المطللة على الحوش. أحصر نفسي داخلها وأتابع بعيني وقفتها.  
 أحس عطرها يتهادى إلي. فأنتعش. وهي. تلمحني في سجني. وترفع يدها تسوي عباءتها كأنها تحييني ..  
 كأنها تحكي لي عن النار الرابضة في فؤادها. وكأنها تذكرتي بألا أنساها. وأنها لا تزال تحمل طفولتها.  
 وتحمل ذكرياتها. وتحمل حبي لها.

آه يا وسمية .

يا حبا عاش وما يزال . جبارا . كبيرا . كهذا البحر .

\*\*\*

يصيب رأسه الدوار. يحس السماء تدور. والبحر يدور. يزداد تناغم موجاته . ترتفع تهاليله.  
 يطيش . يهدأ . ثم يطيش ثانية . يأتي الموج . كالمستقبل اللاهث. يضحك. ثم يندم . فينسحب إلى الوراء.  
 يصير ماضيا ويبقى الزيد متألثا. حاضرا مهما تحرك الموج ورحل . السماء تزداد عتمتها. ويختفي وجه  
 النجمة الوحيدة. والشبكة غارقة في بطن الماء. والحلم يعشعش في رأسه الدائخ.  
 هل يتحقق!!

هل تأتي وتدخل الشبكة؟؟

أم هي ترفض أن تعود إلى عالم كبل قدميها. وقيد قلبها وحرمها الغوص في بحر أزرق تحبه .  
وتعشق أصدافه . وقواقعه . ورائحته؟؟

حرمان كان يفزع حمامات العقل فتفر طائفة . وتصير وسمية في الحي حلما مجنوننا يشيرون إليه بأسف .  
استلقى في حضان الطراد . بعد أن احتوى البحر كله في عينيه . حمله داخلهما . كمن يحمل شيئاً  
عزيزاً ، وارتسمت ظلال من الحزن على أنحاء وجهه تحفر خطوطها . وتشق أقنية للألم الذي فاح من عينيه  
دموعاً تهرب . وتنساب . وتبلل الوجنات .  
ارتاح .

تمدد .

أسكت شهقات صدره . وكأنه يخشى أن تزعج البحر . فيثور ، ولا يترك الفرصة لحلمه أن يأتي .  
لوجه وسمية . لوسمية كلها . تلك الغائبة التي يتصورها تحمل له موعداً آخر . وتزف نفسها إليه .  
يتذكرها .... كل ليلة....

أه كم تؤلمه الذكرى . ويعود التساؤل منشارا حادا يزرع أسنانه في صدره وينشر عظامه:  
هل كنت السبب؟؟ أنا الذي طلبت منها أن تأتي . أنا الذي قدمتها هدية للبحر .

لماذا أنكرك ذلك ؟

لماذا أنسى ذلك باليوم؟؟؟

\*\*\*

\_5\_

عادت أُمي متعبة. تشممت في ملابسها رائحة عرق غزير . اندفعت إليها. حضنت وجهها لسعتني  
حرارة بدنها وغزاني رعب شديد:  
\_ أُمي ..... هل أنت مريضة؟  
وهوى رأسها على كفي. وبكت  
أُمي بكت.  
كان الألم حادا يمزقها. سحبت الوسادة. زرعتها تحت رأسها، وسويت جسدها المحموم على  
الحصير . وهرعت بكوب من الماء ، مسحت على رأسها قليلا . وعلى وجهها . وبللت شفتيهما.  
\_ أُمي . هل آخذك إلى " الدختر " ؟؟  
هزت يدها:  
\_ لا داعي . سأرتاح بعد قليل .  
وأغمضت جفنيها. ثم كمن تذكرت شيئا .  
\_ يا عبد الله . معي أغراض ضرورية لأم وسمية. وأنا كما ترى....  
جاء صوتها مغموما ، متقطعا وهي تكمل:  
\_ متعبة ..... ليتك يا عبد الله تصل إلى دارهم . وتوصل الأغراض .  
طار قلبي فرحا. كدت أنسى جسد أُمي المحموم . وتسافر أحلامي إلى البعيد عنها . لدعني شيئ  
كمنقاش النار كاد أن يقتلني من قربها....  
لكن وجهها المحموم قصف فرحتي ... ورفضت :  
\_ لا يا أُمي . لن أذهب وأتركك على هذي الحال .  
\_ يا ولدي .... أم وسمية محتاجة لأغراضها .  
ولوحت بذراعي ... نسيت وسمية وأم وسمية ونسيت فرحي:  
\_ ولو يا أُمي ... أمن أجل أغراض الناس تفرطين بنفسك وأفرط براحتي .  
\_ حاجات الناس يا ولدي .  
\_ الناس يجب أن تقدر ظروفك . عندما تكونين في صحتك لا تتأخرين .  
\_ يا وليدي ... يا حبيبي . أم وسمية حرصتني . أرجوك  
ولكن.....  
\_ لا .. لا تقل شيئا . ثم أعرفك تحب أم وسمية. وتحب أن تخدمها . وأطرقت:  
\_ هذا صحيح يا أُمي . ولكن..  
\_ أنا بخير يا وليدي .  
واقتربت منها. ولمست أصابعي رأسها المبلل:  
\_ هل أعمل لك شيئا قبل أن أذهب ؟  
ابتسمت:

\_ الله يرضى عليك. " استكانة زعتر".  
 وأسرعت.. أغلي لها الزعتر. أصبه وأعود به تفوح رائحته العطرة وقلبي يهمس لأمي بالشفاء.  
 حين وضعت الزعتر بقربها... تذكرت شيئاً:  
 \_ أمي. أخشي أن يراني فهدد و.....  
 قاطعتني:  
 \_ لا تخف فهد ليس "بالديرة" رافق أباه في سفرة جديدة.  
 \_ أمرك يا أمي . سأذهب .

\*\*\*

كان اليوم باسما رغم ألم أمي . رغم النار التي تسلق جسدهما كان الفرح بردا وسلاما على روحي .  
 أسرعرت إلى صندوق الملابس. فتحتة . أخرجت دشداشة العيد. ارتديتها مسرعا. وبحثت في  
 بقش أمي المتناثرة عن عطر . أي عطر دهن عود ، دهن ورد، أو " بنت السودان".  
 رششت على نفسي . سويت غترتي . ودنوت من أمي :  
 \_ أين الأغراض؟؟  
 أشارت إلى بقشة مقصبة بالزرى:  
 \_ هناك . هذه بقشة أم وسمية .  
 ورأيتها .. تزهو ... تناديني أن تعال واحملي ، واحمل روحك ، وفرحك.  
 حملتها...ثقيلة ... ضحكت ... جاء صوت أمي واهنا:  
 \_ مالك تضحك؟؟  
 \_ أقول : ما أكثر أغراض الحریم..  
 وضحكت مثلي:  
 \_ حاجات الحریم كثيرة .. يحتجن إلى الجمال دائما.  
 عدت إلى قربها بعد أن كنت أهم بالخروج .. سألتها:  
 \_ لماذا تتجمل النساء يا أمي؟؟  
 فوجئت بسؤال في هذا الطرف:  
 \_ يعني ... الرجل يحب المرأة جميلة.  
 وداعبت كفي:  
 \_ أنت : ألا تحب أن ترى المرأة جميلة؟؟  
 هزرت رأسي:  
 \_ أنت يا أمي لا أراك تستعملين الديرم ولا أشياء أخرى ، كنت أرى أم وسمية تستعملها.  
 أسبلت جفنيها:  
 \_ " من يوم ما مات المرحوم..... عافت نفسي الزينة"

\_هل كنت تحبينه يا أمي؟  
 \_ المرأة يا وليدي ، ليس لها غير رجلها. تخدمه . وتفديه. وتحبه.  
 \_ وهو ! هل كان يحبك ، ويحنو عليك ؟  
 \_ " عزة الله " كان السدرة.... الله يرحمه ويغمد روحه الجنة.  
 وتنهدت ... وقالت::  
 \_قوم يا عبد الله ... لا تتأخر على أم وسمية . لا أدري لماذا تذكرني .  
 \_زعلت يا أمي ؟  
 \_ لا والله . لكن ذكرى أبيك تؤلمني... مات شابا. وتركك يتيما.  
 ألقىت البقشة من يدي.... ألقىت بجسدي كله بقربها... حضنتها... زرعت رأسي في صدرها...  
 تشممت رائحة مرضها. وعرقها. وتعيبها. وحنانها.. سألت دموعي ..... ونشجت ... وأخرجت كلماتي:  
 \_ لست يتيما يا أمي .... أنت أمي . وأبي . وأهلي . أنت كل شيء في حياتي . أنا يا أمي لم أشر يوما باليتم. لقد  
 فعلت من أجلي كل شيء . أنا أحبك ... أحبك كثيرا. وأريدك دائما راضية عني.  
 وربتت على كتفي :  
 \_ راضية عنك . والله يرضي عليك .. لا تبك يا عبد الله . دموعك تؤلمني . قم وسوِّغترتك . واغسل وجهك .  
 واذهب إلى بيت وسمية .  
 قالت بيت وسمية .  
 لم تقل أم وسمية .  
 هل أرادت أن تذكرني بأبني شغوف إلى رؤية بيت الحبيبة؟  
 ما أعظم حنانك يا أمي .  
 تعرفين ما بقلبي.... وتفرحين لفرحي... حتى وإن كان عمر الفرح لحظة. حملت أجنحة السعادة...  
 والبقشة. وحملت نفسي أطيروا إلى شارعهم الذي صار محرما.  
 اليوم. حلال على قدمي أن تطأ رمله. وتعابث حصاه. وتعد شبابيك بيوته. وعتبات الأبواب. وترسم  
 عيوني على جدران الفرح الذي بداخلهما . تذكارات ليوم يولد فيه في نفسي فرح أكبر مني. أخشى أن يهدم  
 على روحي. فيقتلني قبل أن أراها وقد غابت عن عيوني زمنا. وفي طريق عودتي لا يهم أن أموت. أن أموت  
 وفي عيني وجهها ينام، يموت معي . يحرسني .  
 طرت إلى بيتهم . تهزني خيالات ، وتتقاذفني ظنون: هل سأراها ؟ هل ستفتح هي الباب؟؟ هل  
 ستفرح؟؟ هل ستخجل وتتوارى . أم تمد يدها تلامس كفي الذي داعبته صغيرا؟  
 هل ستشم رائحتي البحرية التي تحبها؟؟  
 هل ستحب عطري هذا أم تغضب لأنني دفنت عطر البحر تحته؟؟  
 هل .... وهل..... وهل.....  
 وقدماي تنهبان الطريق.

السماء تفور فوق رأسي . الشمس لا تخجل من كمية الفرح التي تملأني فتصب سعيها . لا بد أنها صبتة على رأس أمي قبلي . فحملته المسكينة حمي .

هل سأحمل الحمى؟؟ هل ترهقني في هذا اليوم السعيد؟؟

لأطرد كل الأفكار . والشارع المؤدي إلى بيتها يدنو . هو يدنو ! أم أنا الذي أدنو؟؟

تشع أنوار . وترقص ذرات التراب . وتهتز أغصان شجرة وحيدة عند مفترق الطريق .

أدلف إليه . تدخل إلى صدري رائحة حنان . وماض يفوح . وأشد الخطو والبقشة في يمناي تهتز فرحة مثلي.... ويسراي تشد على قلبي خشية أن يخذلني ويسقط!

اقترب....

هو ذا الباب .

مارد منتصب .

وجه عابس في وجه الظهيرة اللاذع . ووجهي صفحة بحر رقراق تتلاعب عليه أسماك الفرحة .

وأصداف الشوق .

بيت وسمية أخيرا .

بابه . ورائحته . وذكراه .

تلفت . هل يراني أحدا؟؟

كالمصعوق واقف أتأمل . أتحسس خشب الباب . ومساميره قبل أن ترتفع كفي لتمسك بالرمانة

الصغيرة الحديدية المدلاة و ..... أطرق..

طريقة خفيفة كأني أريدها أن تصل أذن وسمية فقط .

هل ستسمعها؟؟

هل ستعرف أنها دقة من دقات قلبي . خرجت في هذه الظهيرة اللاذعة لتعلن فرحها؟ أم هل ستسمعها

أمها فتأتي وتأخذ البقشة ثم تقول، "مشكور . وسلم على أمك" . وتغلق الباب؟

لا ...

أم وسمية طيبة . لم ترني منذ فترة . ستفرح . وتشهق:

\_ عبد الله ! يا هلا . يا مرحبا . شلونك؟؟ تفضل .. تفضل... ستدخلني . ستعطيني ماء باردا . وبرتقالا .

وبيضا . وقد تعطيني الفرصة لأرى وسمية .

لا .

لا أريد أن تعطيني هي الفرصة . لا أريدها أن تسمع دقة الباب . أريد وسمية بنفسها...

و...

أكرر الطرق على باب الحبيبة . طرقا خفيفا . أحس الزمن المتناثر يلتئم كله ليصير زمنا طويلا .

القلق يتسرب إلى أعضائي كلها . وأنا واقف بعد الطرقة الثانية الوديعه أنتظر . وأكاد أزفر صبري مرة

واحدة ، ويغتالني اليأس .

لكن يدي تمتد ... مرة ثالثة ... وقبل أن أتنفس . سمعت صوت مشي رقيق . ثم.....

يفتح الباب. كباب الجنة. تتسرب منه رائحة عطر. راحة. و..... يطل وجهها.

هل كنت أصدق!!

هل فركت عيني لأصدق!

هل عرق الظهيرة تجمع ورسم لي الصورة؟

هل كنت أحلم؟؟ أم أن القدر كريم، ومد يده لي بالسعادة؟؟

إنها هي.

وسمية. التي كانت طفلة تلهو معي. وأعبث في حوش دارهم. وحظيرة دجاجهم وأتقافز معها

على التراب، ونختفي خلف الأبواب الهندية... و... وأعبث بشعرها الطويل.....

إنها وسمية....صبيبة رائعة..... أمامي. بلا عباءة! ولا بوشية. ولا تقاليد ولا أصول... ولا وجه فهد

الغليظ.

وسمية، التي ظل حبها يكبر... ولا يهدأ إلا حين أداعبه بأمالي وأحلامي فيستريح قليلا ليعاود

شقاوته. وينط داخل صدري كلما سمعت امها، أو تصورتها، وأنا أجلس في مواجهة البحر، أعد

القواقع، وأجمع الأعشاب، أو أرتمي إليه أبلل جسدي، كأنني أود أن أسحب كل رائحته لأختزنها للحظة.

.. لصدفة تراني فيها وسمية، فهي تحب رائحة البحر..... رائحتي. أنا الطفل الذي ارتبطت طفولتها بي. أنا

. ابن مريوم الدلالة.

انقشعت غمامة عيني.... وجهها الرائع يطل من صفحة الباب وهمست:

\_ من؟؟ عبد الله؟؟

شهقت بفرحة لا تخفي علي. والتمع في عينيها سرور، ورقصت على خدودها زهور. واستفاقت

على شفيتها طيور تصدح. خرج صوتها متبرنا من شجن الفراق. ونغمة تعلن عن فرحتها و... رفر

قلبي. وشع في عيني قمر أزرق. وهتفت ثانية:

\_ عبد الله؟؟

وطار صوتي:

\_ وسمية.

بدهشة بعد الفرح سألت:

\_ ما الذي جاء بك في عز الظهيرة؟

لم أشأ أن انظر إلى البقشة لتفهم... أردتها أن تتصور أن قلبي هو الذي جاء... أن شوقي هو

الذي سألت مياهه في هذا الحرف أمرني. لم أرد أن تفارق عيني وجهها لحظة وأنا أشير إلى البقشة... .

وظلت الحيرة ترتجف على شفتي... وعاودني همسها:

\_ الدنيا حر.

وأوسعت من فتحة الباب:

\_ تفضل.

تقول لي تفضل... هل أصدق؟

كدت أتردد . تطلعت إلى الورااء . إلى اليمين. إلى اليسار . هل من أحد في الشارع؟ هل من عين ستشل خطوتي وتحرمني متعة التفضل؟!  
حركت قدمي اليمنى بثقل واضح. ألحقتها باليسرى بثقل أقل. ودلفت من فتحة الباب تسبقني بقشتم التي ترتجف معي.

كانت ركبتي ترتجفان . يداي ترتجفان. شفتي ترتجفان. حتى عينايا أحس الرجفة فيهما  
رفرفة سريعة. ويجف حلقي. وتهمس:

\_ أنت يا عبد الله....

واسعفتني شفتي:

\_ أنا يا .. وسمية .

غنيت أسمها. لحنا سعيدا.... وهتفت:

\_ كبرت يا عبد الله.

وتأملتها بكل شوقي.... ذررت على جسدها كله آيات التبريك:

\_ وأنت يا وسمية ... كبرت... وصرت جميلة...

خجلت:

\_ هل أنا كذلك حقا؟؟

\_ بل أحلى من الجمال ... ما شاء الله.

ابتسمت. لم تجد ما تقول.... همت تتحرك:

\_ سأنادي أمي .

ثم تداركت:

\_ سأحضر لك ماء باردا.

هل أتركها تذهب؟ أكون مجنوناً... حطت وسمية كالفراشة العذبة في قلبي ... بللت جفاهه ...

وتبلل جفاف حلقي .... فهل أترك الفراشة تطير؟ هل يتبدد الحلم وأنا الذي انتظرت أن يتحقق؟

فاجأتني جراءة كبيرة . مددت يدي ... أمسكت بذراعها . شهقت . شددت عليها. تأوهت بدلال.

سحبته. ارتجفت. ورجوتها:

\_ لحظة... أرجوك يا وسمية.

\_ عبد الله.

\_ أنا " ولهان عليك" يا وسمية. حرموني منك. حتى أمي تحبني ولا تريد أن تغضب أهلك. وأنا....

\_ أنت تؤلم ذراعي يا عبد الله. ...

عاتبت برقة ... أرخيت كفي.... وظلت حانية على ذراعها:

\_ من كثرة ألمي ... وفرحي. أعذريني . إنني سعيد أن ألقاك .. فهل أنت سعيدة! أم نسيت عبد الله؟

تلون وجهها وهمست:

\_ أنا يا عبد الله أذكرك دائما ... ولا أنساك.

واهتمزت أغصان قلبي:

\_ وأنا يا وسمية أكبر... وتكبر محبتي لك.

وارت وجهها المتورد:

\_ هل..... هل ما زلت.....

وأكدت لها، كأنني أخشى أت تفر الكلمات:

\_ أجل .. ما زلت. وهل أستطيع؟ أنا أحبك يا وسمية. لم أنس طفولتي معك ولا ... أه... ماذا أقول. أتمنى لو أراك يا وسمية أجلس معك. ساعة. أحدثك. أقول لك كل مافي قلبي.

لم أصدق سمعي وهي تصرح بصوتها العذب:

\_ وأنا يا عبد الله. أود ذلك . أسأل عنك أمك دائما. ألا تخبرك؟

\_ بلى .. هي تفعل.

\_ أتلهف على أخبارك. وهي تغذيها بها... ألا تخبرك؟

\_ بلى ... هي تفعل يا وسمية . تعرف أن هذا يفرح قلبي .

\_ وأنا ... تصلني سلاماتك... و.... ماذا أقول؟

\_ يجب أن تقولي يا وسمية وأن أقول . ولكن!

وتنهدت.

فتنهدت تنهيدة حرة حرقت قلبي وكأنها تذكرني:

\_ كيف؟ وأين؟ والناس؟ وأهلي.

\_ لا تخافي وسمية . إن كنت حقا ترغبين أن نجلس ونتحدث . فإننا نستطيع.

وشهقت:

\_ معقول؟ كيف؟

فرحت بسؤالها . أعطتني قدرا من الشجاعة فقلت:

\_ نذهب إلى البحر.

وارتعدت :

\_ ماذا تقول؟

\_ أقو... أ... أ... أقول..... نلتقي عند البحر... باكر

وخطبت بكفها المحني على خدها:

\_ باكر؟؟

ترددت قليلا حين فار فزغ من عينيها .. أدركت أنني استعجلت :

\_ يعني .. باكر ... عقب باكر ... أي يوم.

تأملت وجهي .. تشفق عليه... كأنها لا تصدق ما تسمع. كأنها تريد أن تتأكد من أن وجهي ولساني هما وجه عبد الله الطفل.. الصغير الذي كان... وصار الآن وجه عبد الله ... الشاب ... العاشق، وهمست:

\_ هل أنت مجنون؟

وطأطأت رأسي. وأشفقت على ذلي :

\_ يا عبد الله . ماذا تقول؟ كيف أخرج؟؟

أعطاني سؤالها غير الجاد فرصة لأتغلب على نفسي . لأحاول . وأتابع المشروع الذي بدأ كالحلم.

\_ في الليل.

\_ في الليل؟؟

\_ نعم يا وسمية....

\_ وأمي ... والناس....و...

\_ أمك ... وأمي .... وكل الناس ينامون.. بعد العشاء كل العيون تنام... و

\_ ماذا أيضا؟

\_ أبوك وفهد ليسا هنا.

حركت رأسها كمن لا تصدق العرض الذي تسمع . على وجهها تطوف سحابة أمل . عيناها في لحظة سافرتا... قطعتا الجدران ، والشوارع، وصلتا البحر. زفت نفسها إليه .. أَلقت بأحلامها بين يديه...  
ثار شوق على وجهها..... ابتسمت التفتت إلي:

\_ ماذا سنفعل هناك؟

\_ لا تقلقي ... سنجلس ساعة نتحدث . نتذكر كل السنوات. أيامها. لياليها ونحكي كل شيء . وتعودين .

ارتعشت رموشها.. هزت كفها رافضة:

\_ لا... لا...

\_ ليش يا وسمية؟؟

\_ لا أستطيع .. غير معقول ما تقول... إنني لا أجرؤ.

ثم حدقت في وجهي بشبه غضب:

\_ أنت مجنون . إفرض رأني أحدا!

افتراضها يعني أنها توافق. شحنت نفسي بالقوة:

\_ لا تفرضي شيئاً. الناس نيام. والليل ستار.

أرخت رأسها. تفكر . طالت اللحظة . استعجلتها:

\_ ها !! هل تأتين؟؟

.....

لم أحتمل صمتها. هل تفكر؟ هل تناقش الفكرة؟ أم هل ما تزال تحسبني مجنوناً حقاً؟

لم أبدأ حركة . تركتها رغم قلقي ، تعيش عنادها ، وحوارها لنفسها. كنت فقط أتمنى أن توافق .

وحين طال صمتها كررت سؤالي:

\_ وسمية . هل تأتين؟؟

ماجت حيرة في عينيها ، وتردد ، كأنها تمتحن نفسها وتساؤلها... وتجاوزها.. ثم رفعت وجهها إلي ، وكأنها قد قررت فجأة أن تتحدى الحصار، أن تعطي لنفسها حقا، مرة واحدة. أن تخوض غمار تجربة ما تعودتها . أن تحاول إنعاش القلب الذي حكموا عليه أن يفارق مرابع طفولته ، وأراجيح فرحه، وسماوات غنائه.

قالت وما تزال الحيرة على وجهها:

\_ سأحاول .

وتشبثت أكثر بالأمل ... ألححت:

\_ لا ... قرري متى .... لأنتظرك.

بدأ عليها القلق:

\_ قلت لك سأحاول.

نامت الفرحة والأمل في صوتي :

\_ أرجو أن تحاولي جيدا... إن كنت ... إن ....

وقاطعتيني :

\_ صدقني . سأحاول . سأكون مجنونة مثلك، وحين أقرر سأعلمك.

\_ كيف؟؟

كأنني بسؤالي وضعت في طريقها عقبة ثقيلة . كأنني ذكرتها بأن الوسيلة للقاء صدفة آخر كهذا تتعذر .

شاع فرح في عينيها. كأنها وجدت الفكرة:

\_ أقول لك . إذا قررت المجيء . سأضع هنا عند باب البيت حجرا. وأشارت إلى الخارج عند عتبة الباب...

ابتسمت هازئا:

\_ هذا عن الموافقة ؟ ماذا عن الوقت؟؟

غرست في وجهي نظرة استخفاف:

\_ يا شاطر ، العلامة في اليوم معناها الموافقة في نفس اليوم.

وكرر قلبي.

كاد يتدحرج إلى الأرض تحت قدميها . يقبلها شاكرا. ثم ينزوي مكان الموعد وينام حتى يحين.

لكنني لم أصدق !! خشيت أن يكون مزاحا منها... أ، تخذلني ... سألتها مترددا:

\_ ولكن يا وسمية ، لا تجعليني مثل ما يقول المثل " أنظر يا حمار لما يجيك الربيع"

\_ لا... يا حمار....!

وتدافع ضحكنا... وخجلها:

\_ قصدي يا عبد الله . هاليومين إن شاء الله ... و.....

ترددت :

\_ ولو أني خائفة .

\_ لا يا وسمية . لا تخافي . أنا معك . والليل ستار .

\_ طيب... طيب.....

تذكرت أننا لا نزال نقف وحدنا.... وأن معي أغراضا....و.... تحركت :

\_ سأنادي أمي الآن .

قبل أن تندفع عادت وفي خجل مست كفها الحلوة صدري تدفني بهدوء:

\_ عبد الله . ليتك تقف خارج الباب . لا أريد أن تعرف أمي أنك دخلت وأنا... تحدثنا... أرجوك... ولا تزعل .

\_ أزعل؟؟ أنا لا أزعل منك يا وسمية .

كنت خلال كلماتها المنبعثة من ثغر عبق وصدر صاف.... أتجه نحو الباب ، أستل نفسي منه مرغما لا أريد أن أفارقها. ولا تفارق أنفي رائحتها الحلوة. خرجت . وبقيت فتحة صغيرة . قبل أن تسدها أطلت منها لتؤكد:

\_ إنتظر مني الإشارة

وكأنها دغدغت أمني:

\_ سأنتظر . لو ألف سنة سأنتظر .

وانتظرت.....

جلست على العتبة... عيناى تنصبان على المكان الذي إشارة إليه... هنا.... ستزرع وسمية إشارة الحلم.... الأمل... هنا.... في هذه المسافة الصغير.... ستعلق قلبي... وبصري... هنا... ليت قلبي هنا ينام.... ليت عيني تفارقان وجهي وتنامان هنا... هل أستطيع أن أبتعد عن هذه النقطة الصغيرة التي تتعلق فيها رايات أمني؟؟

سوف أنتظر.....

انتظرت... لا أدري كم مر من الوقت حين جاءت أم وسمية لتفتح الباب وتدخلي..... وتغمري بكثير من الحنان.

\*\*\*

## \_6\_

أم وسمية طيبة. كانت . وظلت . كبرت قليلا . جسدها ممتلئ . جسد عاش حياة عز . ليس كجسد  
 أمي الذي يشبهه " القصموول " الطويل . وأم وسمية مربوعة القامة . شعرها غزير أجعد . مفروق من الوسط .  
 وبعض شعيرات بيضاء تسرق نفسها من الزمن وتندس فيه .  
 شعر أمي أنعم وأخف . شبيهه أكثر . شيبها التعب . وانزرتت نجمات ليالي الشقاء الضالة كلها  
 في مفارقها .

أم وسمية لها وجه مستدير ، وجبين عريض . أنفها دقيق . ثمة شامة ناتئة ترقد عند حاجبها  
 الأيسر . أما فمها يشبه فم وسمية . ورثت حبيبتي فم أمها . شفتان مكتنزتان مضمومتان .  
 فم أمي أوسع ، شفتاها رقيقتان وعيناها أوسع من عيني أم وسمية . أمي أبيض بشرة . أم وسمية  
 حنطية اللون . جذابة . أحب الطيبة التي تفوح من وجهها . ومن يديها .  
 حين رأنتي تهلتت . أشرقت على وجهها . رغم القيلولة الحارة \_ غيمة باردة . ورغم النعاس الواضح في  
 عينيها رحبت بحرارة :  
 \_ أهلا . أهلا . عبد الله . حياك .

وأوسعت لي الباب الذي دخلته قبل لحظة وخرجت منه بعد أن وعدتني وسمية .  
 دخلت الدهليز .... سبقت البقشة هذه المرة . وحين لمحتها أم وسمية صاحت :  
 \_ يا لأمك الحريصة . أرسلتك هكذا في هذا الظهر الحارق !  
 \_ تقول أنها أغراض ضرورية .  
 \_ أي والله يا وليدي . ولكنها كلفتك مشقة .  
 \_ عفوا ..... لا مشقة في الأمر . أنا تحت أمرك . وأمر أمي .

لم تكن تعلم أن هذا الأمر مصدر سعادة لي . لم تكن تدري أن حر الظهيرة يهون . والمشى يهون .  
 وكل شيء يهون في سبيل أن أتسهم ولو رائحة شارعهم . وألمح باب بيتهم . فكيف لو تدري أن أمر أمي  
 المحمومة كان السبيل لرؤية وجه الحبيبة ومحادثتها ! ثم الاتفاق معها على لقاء وأي لقاء ؟  
 هل أنا مجنون ؟

هل أنا أحمق إلى هذا الحد حتى أصدق ! هل يعقل أن تطاوعني وسمية وتخرج لملاقاتي ؟  
 هل أنا المجنون ! أم هي المجنونة ؟

سرحت بخاطري وأم وسمية تكيل الشكر لأمي . ولم أشأ أن أضنيها بخير مرضها . لم أرد لو جهها  
 الشاكر أن يتغضن أو يتألم . أخذت البقشة من يدي .  
 قالت :

\_ انتظر . لا تذهب .

دخلت إلى الحوش . تسحبت وراءها أطل برأسي من الدهليز . فقد تكون وسمية واقفة في مكان

ما .

درت برأسي أتابع أم وسمية وهي تتجه إلى غرفتها .. وحين اختفت حركت رأسي ناحية الغرفة الأخرى.

هي ذي وسمية تطل..... تنسدل خصلات شعرها على كتفها.... تبتسم وتهز رأسها.... كأنها تؤكد لي :  
\_ نعم يا عبد الله . سنلتقي .

ما ذا أتمنى بعد هذا ؟ هل أصدق ، أم أظل أحسبه حلما. لكن وسمية أمامي . كانت معي . تؤكد الصحو والوعد.

خرجت أمها من غرفتها فتواريت مسرعا. ابتعدت نحو الباب اسمع صوت مداسها يزحف على الأرض الحارقة . تدنو..... تدنو.....

دخلت الدهليز . تمسك بيدها صرة قدمتها لي:

\_ خذ يا عبد الله .

فتحت فمي ، لكنها أسرعت تكمل فيل أن أسأل :

\_ بعض الحاجات للوالدة.

هكذا هي دائما أم وسمية .... لا تردني خاليا . ولا ترد أُمي ... شكرتها.

أكاد لا أصدق نفسي أنني في بيت وسمية ... فأزيد الشكر بكل الحب الذي يرفرف داخل صدري لابنتها. أتمنى ألا تنتهي اللحظة ، الحلم ، لكن الباب أمامي .. وأم وسمية كذلك. يؤكدان أن اللحظة حقيقية وأنني صاح. لست نائما.. ولا حالما.. رأسي صحيح. ليس مرتجا ولا فارغ.  
إذن . كل شيء حقيقة ثابتة . حتى الوعد بالمحاولة ثابت.

اندفعت من الباب . من الدهليز الوادع بعيدا عن غليان الشمس ، إلى النهار الحارق. يسيل عرقي . يخفف فرحي .. وشعوري بالرضا من هموم الحر وغضب الطبيعة .

صافحت عيناى الشارع . أحسسته يزهو بغلالة وردية ... جديدا صار الشارع... كأنه اتسع .. كأنه تندى بألف قطرة حب... وأمواج حب ... وكلمات حب..

كأن الشارع كله بدل أن يغرق في غليانه يعوم في بحر بارد . يتسع لألف قلب . وأن فيه تسبح ألف مركبة وسفينة . تشرع للهواء أشرعتها البيضاء . تدعو كل العشاق ، والمحبين ، والحالمين المنتظرين أمثالي تدعوهم لرحلة شفافه... في عمق السعادة . وقلب المستقبل الباسم . بعيدا ... بعيدا... حتى عن اللحظة التي أحمل فيها الصرة ... وأعود إلى البيت . حيث ترقد أُمي المريضة ... البعيدة عن مراكب الحب ، وبحره الأزرق.

\*\*\*

حين دخلت بهدوء ، كانت أُمي تغط في نوم عميق. عرفت ذلك من صوت شخير خفيف يصاحبه صفير واهن يصدر من أنفها. اقتربت منها. ألقيت على وجهها النائم نظرة مشحونة بالعطف ، وبالحب. رفعت يدي . أردت أن أمدها . وأمسح حبات العرق التي تجمعت على جبينها الساخن ، لكنني ترددت . لا أريدها أن تصحو ، فتفارق أحلاما تعيشها. ولا أن توقظني من أحلام أنسجها. وأتأملها.

تنهدت .

أذكر أنني تنهدت بصمت أخشى أن توقظها النهدة. حادثتها في سري :

\_ أه يا أمي .... لو تدرين ! ابنك يطير ... يطير ... ولا يحمله كل الفضاء.

استلقت بقربها. لا أريد أن أغمض عيني خشية أن يغيب وجه وسمية أو يغيب وعدّها في المحاولة. أو يهرب الوعد. يتناثر مع الأحلام ويصبح أشلاء.

أردت أن أظل صاحيا . متيقظا. حتى اليوم الذي يصبح فيه الوعد حقيقة، اليوم الذي أرى فيه العلامة مزروعة أمام باب بيتها.

أخذت أتأمل السقف المهترئ . منه تغمرنا في الشتاء دموع المطر الغزير التي تصب من شقوق "الجنديل" فننتقل من مكان إلى آخر ، أو نلجأ إلى بيوت أحد الجيران أمثالنا. أو بعض المعارف . نغيب .. ولا نعود إلا حين يجف السقف. وتجف أرض الغرفة.

تأملت السقف طويلا . رسمت على جندله صورة الحلم . صورة لقاء قريب . يتم على البحر ، هناك ... حبيبنا الذي أبعدها عنه. وحرموها متعة الولوج إلى أعماقه . تبلل قدميها.. وتنثر شعرها.. ويستحم شبابها الذي تفتح ..... وتنسم رائحة حب طفولي عاش معي . ومعها. وتنسم رائحة البحر الذي تحب زفره . وتنسم رائحته في ملابسي .. وجلدي ، حين أعود منه ورملي يتساقط.

\*\*\*

رائحة البحر تتسرب إلى انفاسه . رائحة اعشابه ، رمله ، رائحة بقايا المدفونة في بطنه . وهو مستلق في الطراد . يهزه الموج . تسافر به الأحلام . ثم تعيده إلى الواقع فيتذكر زوجته التي تركها في البيت.

هذه الليلة لن يعود .

لقد رفضته . غيرته بأنه لم يعد شابا قويا يحتمل تعب البحر والصيد .

وسألته كما تفعل دائما بغباء.:

\_ لماذا تحب البحر؟؟

فاستقامت كل ذكرياته . ود لو يحملها معه... تلك الذكريات الحبيبة ، يحملها ويهرب فورا. لكنها

استوقفته بصرختها:

\_ متى ستعود؟؟

أجابها من طرف شفتيه:

\_ لا أدري.

يتذكر أنه رد عليها بجفاء. كأنه يقول لنفسه : لماذا تسألني ؟ هل أدري متى أشبع من البحر؟؟

أكدت له رغم عجالته ، وأيقظته من شوقه للبحر:

\_ لا تتأخر .

عاد خطوتين :

\_ وماشأنك بي؟

ثارت:

\_ الآن جئت والآن تذهب .

\_ لقد أثرت أعصابي .

\_ لا تهمني أعصابك .. أسألك.. متى تعود ؟

تحداما:

\_ لا أدري ! وقد لا أعود . لا تنتظريني.

وتحدثه بصوت خشن:

\_ ومن قال أنني سأنتظرك أو يهمني أن انتظرك؟

هكذا هي دائما. تقرر ألا تنتظره. لكنها تفعل . وهو يكره أن يراها مستيقظة حين يعود . إنها ستعيده لواقعه . لحياته المزعجة معها . لثرتها. فتطير من مسامعه ثرثرة البحر ، وهمساته ، ونجواه ، التي يحب أن تبقى موسيقاها دوما في أذنه . تحمل إليه معها همس الحبيبة التي تركته .... فاضطر أن يتزوج... وفي كل مرة يزداد إحساسه بالندم.

\*\*\*

لماذا تزوجت ؟؟

كان حريا بي وأنا العاشق المقيم بالبحر، وذكريات البحر... أن أبقى " عازبا" . لكن السنوات الثقيلة الطويلة مرت.... أمي كبرت. شابت حتى رموش عينيها. وأنبري لسانها من كثرة ما توسلت:  
\_ تزوج يا عبد الله . أريد أن أرى عيالك .

كنت لا أحس رغبة في زواج . السنوات كانت تمضي . وكلما لمحت وجهي في المرآة أدركت أنني أكبر.

والمدينة كذلك كانت تكبر.

كبرت... زحفت إلى خارج السور . زحف الناس معها. تفرقوا . اتسعت البيوت .. تغير طابعها القديم . والشوارع كذلك اتسعت... وتجملت.

حتى أنا ... وأمي . اضطررنا أن نترك الحي القديم الذي أودعت فيه كل ذكرياتي . صار لنا بيت حكومي بعد أن صرت موظفا وخدمت في الحكومة وتركت أمي كارها القديم. أذلت السنوات نشاطها. فر كنت في البيت. لا تحمل بقشة . ولا تغسل في بيت ، ولا تنتظر عون أحد من الناس.

أمي عجيبة . لم تنس أيا من البيوت التي كانت تدخلها. فتحضنها البيوت وأصحابها . رغم السنوات وزحف المدينة. ظلت أمي وفية للناس. تزورهم وتساءل عنهم . تقوم بالواجب فرحا كان أم غزاء . وتبيت بعض الأحيان خارج البيت إذا تأخر الليل وهي بعد في بيت من البيوت.

وبيت وسمية الذي صار بعيدا. كان أحب البيوت إلى قلب أمي، بيت كبير ، واتسع ، صار بيتا مليئا باطفال فهد، وحدها وسمية لم تره، فقد غاب وجهها الحبيب ، فكرهت بعدها وجوه كل النساء . لا أرى في إحداهن شيئا يشجعني على الزواج. كل الوجوه واحدة . وحده وجه وسمية مرسوم بعيني.

وفي قلبي .

وأمي تلح....

تتوسل...

أشفق عليها. أحيانا أرفض الفكرة والنقاش فيها. وأقول لأمي :

\_ أرجوك... لا تغصبيني.

ثم أحزن .

أسأل نفسي: لم الأنتظار؟ لم أغرس الحزن في قلب أمي ؟ هل أنسى كم تعبت لأجلي ؟ كم سهرت

لأعيش وأكبر؟؟

والآن!

بعد أن كبرت ، لماذا لا أريح شيخوختها؟؟ أكافئها. أرد لها بعض الدين. أهديها أحفادا يسلون

وحدثها. ويرفرون حولها. يعيدون الفرح الذائب في قلبها إلى الحياة.

هكذا...

قررت أن أدخل الدنيا الجديدة . دنيا تريدها لي أمي . دنيا لا أحمل لها أية رغبة . أية لهفة . دنيا لا

يهمني من يشاركني أيامها . ولياليها.. كل ما كان يهمني هو إرضاء أمي العجوز.

قلت لها:

\_ خلاص يا أمي ... اختاري لي زوجة.

عصفت الفرحة في جسدها الضامر:

\_ من تريد؟ كيف تريد.....

\_ لا أشرط شيئا . أنت قصي .. وأنا ألبس.

حقيقة ... لم يكن يهمني من تكون ؟ ولا كيف تكون ؟ شكلها... لونها ... كل شيء لا يهمني ... بعد

لون وسمية ماتت كل الألوان . لم يبق سوى لون البحر الأزرق الذي يتحرك ، فيحرك قلبي .

لم أشرط على أمي شيئا . ولم أشرط أن تكون المرأة شبيهة لوسمية. لأنن أريدها وحدها . في

قلبي . لا أريد أن أرى أي ملمح يشبه أحد ملامح وسمية التي أحبت البحر مثلي. ودفعني إلى خيره

فتعلمت لأجلها الصيد، والانتظار ، وجلب الخير .

تعلقت بالأعماق التي درت قبل هذا خيرها للأولين . تعاملت مع البحر على أنه الزمن المعطاء .

الزمن الذي يورق اللقمة . ويجدد الأمل .

وسمية . زرعتني في قلب البحر . علمتني كيف احبه . وزرعتها بعد ذلك في يدي .

فكيف : كيف اتصور أن هناك امرأة مثل وسمية؟؟؟

\*\*\*

\_7\_

عاد ذهنه إلى بيته ، إلى زوجته. تلك التي تكره البحر كأنه ضره. أو حبيبة . أو عشيقته . تريد بكل الوسائل أن تفصله عن زمنه . أن تدفن تلك العاصفة المبنية سنة ... سنة. أن تجعله يعيش زمنها زمنا تفجرت فيه ينابيع ذهب أسود. فتفجرت معه ينابيع الجشع، والحقد واللهاث إلى ما لا نهاية . زمنا تنكر فيه الأخ لأخيه . والجار فيه لا يعرف من هو جاره... ولا ماذا يعاني. حتى الأولاد تبعثروا .... وتاهوا. هذا ليس زمني ... فكيف أحبه؟

هناك ، عند البحر ، أجد عالمي . فاسبح فيه لأجله تركت الوظيفة وتفرغت . خيره لا يزال . سمكه الكثير الذي أحمله إلى السوق . أو أبيع حيا يلبط مع كل الصيادين . هذا الخير الذي أجلبه سعيدا. هو الذي يهون علي. يجعلني أحس بالراحة . كأنني أرضي وسمية . كأنها في كل مرة تراني . أدخل. انتظر . أرمي الشبكة . أجيئ إليها صباحا مع الأصدقاء . أسحبها.. وفي كل مرة أتمنى أن تصطاد وسمية.. كم مرة تخيلت أنها ستخرج إلي . تزف نفسها. تبتسم تلك الابتسامة العذبة . تفرد ذراعيها. تحضني . تلهيني قبالتها. تحييني . تحرك كل عواطف الرابضة منذ ذلك اليوم الذي ودعتها فيه. وبقيت وفيها لبحرها.

وتسألني تلك الغيبة : لماذا تحب البحر؟؟

ماذا أقول لها وأعيد؟

قلت لها مرة:

\_ أحبه لأنني أكرمه . وأكرمه لأنني أحبه.

ردت:

\_ أنت مجنون.

مجنون! تلك هي تهمتها دائما....

لكنني حقا مجنون.

مجنون لأنه طاوع أمه وتزوجها . وأنهى راحته . مجنون لأنه لم يشترط أن يتزوج امرأة تعشق البحر نفس عشقه وتذوب فيه نفس ذوبانه . مجنون إذا ارتبط بها ليريح أمه فاشقى نفسه. وها هو ... لم يحقق شيئا لأمه . فلا هي عاشت . ولا حضنت أحفاده ... نعم .. هو مجنون بوسمة .. وبحبه للبحر. يتحرك في الطراد.

وجه زوجته الشرس يلوح. كان قد قرر:

\_ الليلة لن أعود . سوف أعلمها الليلة .. وباقي الليالي .

إنها تعرف كم أعشق البحر..... لكنها تريد أن تفصلني عنه ... تعبرني بزفري لعلي أخجل من رائحتي وأمتنع .. وهي تدري .. أنني لن أفعل ...

هل من عشق البحر طفلا ، وصبيا ، وشابا... قادر على أن يهجره؟؟؟ لقد حاولت أمي ذات يوم، وكنت بعد صبيا:

\_ يا عبد الله .... تقضي أوقاتك عند البحر....

\_ أحب البحر يا أمي ....  
 \_ لقد وعدتني ... حين تكبر أن تساعدني .  
 وتذكرت وعدي لها:  
 \_ نعم يا أمي .. ولكن. ماذا أعمل.  
 \_ أبو يوسف يريدك في محلته... تتعلم القلافة.  
 رفضت فكرتها:  
 \_ أبو يوسف لم يقل هذا ... أنت التي عرضت عليه.  
 \_ لا فرق.  
 \_ وأنا لا أحب القلافة.  
 \_ وأيضا أبو جاسم سألني أن تعاونه في الحدادة .  
 \_ لا أحب الحدادة. ولا صوت المطارق.  
 \_ ولكن....  
 \_ أرجوك يا أمي ... أنا لا أحب أية مهنة ....  
 \_ ولكن يا عبد الله . لا بد من عمل.  
 \_ سأعمل مع الصيادين. ساصير سماكا.  
 ورضخت أمي لرغبتني . لرغبة تجعلني أسير البحر ليل نهار... وحملت أمي خوفها علي من البحر  
 وغدره.... واحتملت رائحة زفري. وزفر ثيابي . ولم تكن تقرف . ولا تتأفف من عدة البحر التي أكدها في  
 طرف الغرفة تحمل روائحها هي الأخرى ..  
 كانت حين تراني قادما ... حاملا الخير... أبسطه أمامها... تفرح:  
 \_ هل أصطدت كل هذا؟؟  
 ولا يركبني غرور... كنت بعد صبيا أزحف نحو الشباب .. ابتسم:  
 \_ ليس كله يا أمي .. أنا فقط أعاون.... وأتعلم من الصيادين.  
 تقلب أمي السمك .. وأهتف لها:  
 \_ اختاري ما تشائين . والباقي أنزل به إلى السوق.  
 فتختار.  
 \_ واختاري أيضا سمكا لأم وسمية.  
 فتختار، وهي تخزني بنظرات أفهم معناها....  
 وانفلت إلى السوق ... أبيع الرزق ... حصتي من العمل ... وأعود إليها حاملا النقود .... أدفنها بين  
 يديها.  
 هكذا ... قضيت صباي ... وجزءا من شبابي .. قبل أن ترحل وسمية .

بعدها ... كرهت البحر ... خاصته ... هجرته.. استقرت في مهنة حكومية فراشا يحمل صواني الشاي. والقهوة. وأكواب الماء. وأوراقا أجهل حتى ما يكتب فيها. أتهجي بعض الأحيان حروفا تعلمتها من " المطوع" أو بعض الأقران. كنت دائما أهرب من التعليم .. وافر إلى البحر... لم أكن أدرك أن معرفة حرف تعني أن أصير شيئاً هاما بمرور السنوات وأن احتل وظيفة مرموقة كالتي أحتلها كثير من الصبيان أمثالي. كان من الممكن أن أصير شيئاً ينسى الناس أنني ابن مريوم الدلالة. لكن الجهل قادني إلى البحر وحده ... حيي لوسمية جعلني أهب كل وقتي لها.

لم يدم خصامي لهذا الحبيب طويلا ... سرعان ما عدت إليه ... أهرع بعد انتهاء العمل..... وأعانقه ... أعطيه حيي... ويعطيني الخير ....  
والأيام تتلاحق!

والشهور ... والسنوات ... والعمر يمضي ... وأمي تلح ... وتكبر ... ووجدتني يوما زوجا لهذه الشرسة.

\*\*\*

يتحرك في الطراد .. يعتدل .. ينظر إلى البحر.. هل يشكو له همه؟  
أم يشكو زوجته اللعينة التي تكره رحلته البحرية، ورائحة زفره، وصيده، وخيره؟ أم يشكو البحر للبحر، يؤنبه، يعنفه، يرفع سلاحا ويذبحه! يمزق وجهه، وجه موجاته موجة موجة. فتنزف زبدها دما أحمر. هل هو قادر حقا أن ينتم من هذا الجبار الهادر ليل نهار؟  
" أه يا أحراش الذاكرة المكتظة بالصور. ماذا حدث تلك الليلة؟؟

كيف حدث؟؟

هل أنسى؟؟

هل أنا حقا قادر على النسيان، والحادث مخطوط في ذكري كانه حفر سكين بلحم عصب؟!  
أه ... ما أبشع ما حدث.

كان الوعد منها. حملته كمن يحمل حمامة غالية .. رباها.. وتعب عليها. علمها الغناء.. ويخشى أن تفر منه ولا تعود.

ما أعذب ذلك الوعد الذي ما حلمت أن يكون. ولم أصدق أنه سيولد. وعد كالحلم زغرد في قلبي. وجعلني كالمصعوق. كالمخدر.

انتابني غرور بأن وسمية رغم كل الظروف. فإنها ببراءتها وشوقها الذي برعم. وتفتح حين رأته بعد غياب طويل. ستجازف. وستأتي حاملة لونها الأسمر. وعينيها البراقتين. وثرغها المورد. وسترمي على الشاطئ اللاهث المشتاق. وستمنحني كل حبها. وفرحها.

وأنا!!!!

ماذا سأقول لها؟؟

أغمضت عيني. أتصور همسها يصلني كأنه يخجل من عيني إذا انفتحتا. كأنه يريد أن يلامسني كلي. إلا عيني.

كيف سيكون الحديث بيننا بعد تلك الغيبة التي كبرنا منها .. بل تلك التي كبرنا فيها... وحرموا علينا اللقيا البريئة.

هل ستذكر وسمية طريق البحر الذي حرمت منه بعد أن أزهر تفاحها وأينعت ثماره؟؟ أنا لم أنس الطريق.... أعرفه خطوة خطوة. أعرف حدود كل حجر فيه... وكل نقشة كتبها الأطفال على الحوائط، حتى الكلمات البديئة والشئام. أعرف كل مكان تلوث بروث أو برماد المواعد. أعرف كم عدد الأبواب. والشبابيك. أعرف كم نسمة تأتي. وتغادر في الليالي الربيعية. وكل ربح ماجت... وهاجت واستقرت على سطح أو عريش؟ كم قطرة مطر نزهها الشتاء فنزفتها المرازيم إلى الشارع وتفرعت الأنهر، وأمتدت بحيرات.

كل السنوات لم تنسني شيئا... تلك السنوات التي حرموا على فيها المرور من شارعهم.. كل وجوه الناس الساكنين أذكرها.. فكيف لا أذكر وجه وسمية ال... ذي كنت أراه صدفا قليلة من وراء بوشيتها التور. كانت تغض البصر ثم تسرقه لتراني. أقف من البعيد وابتسم. لا شيء غير البسمة يحملها الهواء كقبلة خدرانة تستريح بعد المشوار على خدها الذي يتورد.

وتوردت في قلبي أزاهير الأمل أخيرا....

وسمية أعطتني وعدا.. فهل تحقق الوعد؟؟

ولو تحدد الموعد... فهل سيكون قريبا....

انتظرت....

انتظرت....

وانتظرت....."

\*\*\*

حفرت أقدامي طريقا إلى بيت وسمية. كنت إذا مشيت أغمض عيني وأحلم.. وكانت خطوتي تعرف طريقها عبر القنار الذي شقته وسط التراب. حتى العصافير اعتادت مشاويري. واكلت من فتات لهفي. وشبعت.

القلق رفيقي في كل مرة.. والشوق.... والخوف من أن يلحظ أحد تكرار مجيئي. والوقوف قريبا أبلق، أبحث عن حجر غريب غرسته يد قريبة. حبيبة... في التراب.

في كل مرة كنت أؤكد لنفسي أنني اليوم واجد العلامة. بلاشك. أعطي لنفسي قرصة للفرح طوال الطريق. حتى إذا ما لاحت الحقيقة القاسية أمامي. أصابتني خيبة. وغزاني حزن يفتق شراييني فاغتاظ. وأقرر ألا أحاول ثانية. فقد يكون وعدا مجرد هوة في لحظة فرح باللقاء الذي تم بعد غياب.

قد تكون نسيت أنها ألقت في مياه شوقي حجرا كبيرا فحركت ركوده.... ومن ثم خمد طموحها... في أن تريح المياه التي تفجرت بعنف واصطخبت. فترسيها على شواطئ الفرع.

أيام مرت....

ثم اسبوع.... اسبوعان..

وأنا في قلق وحيرة .

ماذا حدث ياترى؟؟

وصل القلق بي إلى الحد الذي تصورت معه أشياء كثيرة . تراءت لي صور كثيرة . هل وسمية

مريضة؟؟؟

كان لا بد أن أتحرى . أن أطمئن . أن أسأل . ولا وسيلة لذلك غير أمي التي قامت من رقدتها وهي

لم تشف جيدا لتحمل بضاعتها. تعمل طول النهار. فهل يعقل أنها لم تزر بيت وسمية طيلة هذه المدة؟؟

ترددت في سؤالها سؤالا مباشرا . والنار المضطربة داخل صدري تدفعني بكل الלהفة أن

استشف منها شيئا .

ذات ليلة رطبة . دنوت منها. كانت تخيط فتقا في عباؤها المغبرة . تغرز الإبرة وتسلها بحركة

رشيقة ... سريعة . ثم تبل بريقها طرف بنانها ترطب به القماش.... وتعاود غرز الإبرة.

اقتربت منها اكثر . فأرخت يدها وإبرتها ونبهتني :

\_ ابتعد يا عبد الله . لا تغزك الإبرة.

أه يا أمي.....

كانت تخاف علي من غزة إبرة . وهي لا تعلم أن حقلا من الإبر نابت تحت جلدي .

ابتسمت. وضعت رأسي على كتفها . ضحكت .. ودغدغتها فضحكت:

\_ يا عبد الله . هكذا ستعطلني .

\_ ميخالف.

\_ أريد أن أخلص من رتق العباءة .

\_ غدا تكملين الأمر.

\_ لا . يجب أن اخطيها الليلة . غدا عندي شغل.

وزفرت:

\_ أف .. كل يوم شغل.

ونت أمي ونة خفيفة:

\_ رزقنا يا وليدي .

\_ ولكنه تعب. يأخذ كل وقتك ... وأنا ... وألقت ما بيدها ... هلع قلبها .. تحسست وجهي .

\_ ما بك يا عبد الله .. هل تشكو من شيء..

مسحت على كفها الحاني :

\_ لا .. ولكني لا أراك كثيرا.

\_ هل ينقصك شيء يا عبد الله.

\_ أحب أن أراك .. أن... أن.....

\_ قل ... لات تخجل.

وداعبتها:

\_ أريد أن تدليني.

وضحكت كثيرا ، حضنت رأسي إلى صدرها . شدت عليه ، التصق بأضلاعها الثالثة ... وأحسست  
 أن قلبها هو الذي يتكلم حين قالت :  
 \_صرت "رجلا" يا عبد الله.  
 ورفضت:  
 \_ لا زلت صغيرا.  
 \_ حين يصير عمر الولد خمس عشرة سنة ... يصير كبيرا.  
 \_ ميخالف.. لكني أحبك... أحب أن تدليني.. أن أراك أكثر .. .. أمي لماذا لا تختصري البيوت التي تذهبين  
 إليها؟؟  
 مزت كفها:  
 \_ هناك بيوت لا أستطيع إلا أن أذهب إليها.  
 \_ يعني ... كم... كم.....  
 وعددت على أصابعي:  
 \_ بيت فلان... بيت فلان...و...و...و..... بيت..... وقاطعتني أمي :  
 \_ وبيت وسمية .  
 أمي رائعة . حنون . كأنها تحس بما يرفرف داخل صدري. قالت :  
 \_ ها ! ألا تريد أن تسأل عنهم؟؟  
 وتشجعت :  
 \_ ما أخبارهم يا أمي :؟ ولهت على خالتي أم وسمية ...  
 ظمأنتني :  
 \_ كلهم بخير . وتلعثمت وأنا أخترع الكذبة:  
 \_ قبل يومين حلمت أن وسمية مريضة ... و.....  
 نفرت أمي .... تعوذت :  
 \_ يا كافي الشر يا وليدي . وسمية كأنها العافية .  
 \_ آه... يعني ليست مريضة .  
 \_ لا .. لا تخش عليها.  
 وضغطت على يدي تطمئنني. لكن هذا أهاج غيظي على وسمية .  
 ما دامت ليست مريضة . فلم لم تحقق وعدما؟؟  
 وأي شيء يعابث عقلها؟ هل ندمت؟ هل رفضت فكرتي إلى الأبد ؟  
 كيف أعرف ؟ وكيف السبيل إلى أن أصل ثانية إليها؟؟  
 آه ...  
 ليس غيرها....  
 أمي هي التي قد تحقق الحلم ... وتشفي لهيب النار الذي يأكل أغصان قلبي وأوراقه .  
 التصقت بها أكثر ... توددت برأسي على كتفها... عابثت كفها الذي شلته مداعبتي :  
 \_ يمه...أكو أغراض لبيت وسمية ؟؟

والتفتت:

\_ لماذا تسأل؟؟

\_ أريد أن أريحك من المشوار. وأوصلها.

\_ هناك مشاوير كثيرة تريحني منها.. ما رأيك؟؟

هل تريد أُمي أن تلعب بلهفتي .. وولهي؟؟

تدلت عليها أكثر:

\_ لا يمه. أنا ولهان على خالتي أم وسمية .

وانتظرت .

انتظرت أن تخرج الكلمة من فمها . انتظرت أن تمنحني طاقة تعوضني بها عن أيام القلق الطويلة .

دارت بعينيها في أنحاء الغرفة . استعرضت البقش الملونة ... تركت عباءتها... وإبرتها ... سحبت نفسها فابتعد رأسي قلبت الأشياء ثم رفعت بقشة لا تجهل لونها وتطاريهما عيوني ، والتفتت إلي وهي لا تزال مقرفصة :

\_ هالك . هذه بقشتهم . إذهب غدا . وسلم عليهم.

هل تحركت من مكاني؟؟ أم أن قوة خارقة رfstني نحو أُمي . كدت أهبط عليها بثقلي . أخذت

البقشة بسرعة . أخشى أن تفر من يد أُمي ... أو أن تعدل أُمي عن رأيها.

حضنت البقشة إلى صدري . شممتها . استعذبت الرائحة الحنون التي ملأت صدري . ثم انزويت في فراشي . وكنت أشعر بعيني أُمي كعين ذبابة تتحرك باتجاهين من كل موقع. تلمح فرحي.... وتحصي تنهداتي وتشفق علي.

عادت. تكومت في مكانها تحاور إبرتها وقد أحسست أن كل الإبر التي تحت جلدي قد تكسرت رؤوسها وتسربت إلى غير رجعة .

هو ذا الأمل . احضنه . أتوسده . فكيف سانام الليلة؟؟

أي جفن هذا الذي يشتهي أن يطبق . أو يخمد . أو تهمد جذوره ؟ أي قلب يستطيع أن يهدأ . وتسكن دقاته.

وغدا....

متى يأتي غدا؟؟

وكيف سيأتي؟؟

هل سأراها؟؟

أينك يا وسمية؟؟

ليتك تأخذين بعض عذابي . لكنك تنامين مرتاحة أما عيوني فلن ترتاح لن تعرف طعم النوم.. فغدا .. موعدي مع الفرح.

\*\*\*

## \_8\_

صحوت قبل الديك.

قبل الشمس.

قبل النسمة.

قبل أن يتنفس تراب الطريق عبقة اليومي بعد ليلة ندية.

صحوت قبل قلبي .. قبل أمي .

حين تحركت استفاقت . حكمت شعرها . وتقلبت . بعد لحظة استدارات وكأنها تنبهدت لأمر :

\_ ها ! عبد الله . ما بك ؟؟

\_ لا شيء . صحوت اليوم .

\_ الدنيا ليل ... الشمس لم تطلع بعد .

\_ ستطلع بعد قليل .

\_ إرجع ونم يا وليدي يهديك الله .

ضايقني أمر أمي . لكنني أدركت بأنني تسرعت في استيقاظي . فركنت إلى فراشي ثانية . عيني على النافذة التي ستدخل منها خصلة من خصلات الشمس . فتصدق أمي أن النهار جاء . وتركني أحلق حيث أشاء .

أخذت أتسلى بعد عواميد الجندل بالسقف . ثم عدت الشقوق التي في الجدران ... ثم استعرضت أشياء الغرفة المترامية هنا وهناك ... والوقت يمر طويلا ... ملولا ... مرا . حتى أضاءت الغرفة بالنور الآتي كأنه يريد أن يزفني إلى باحات السعادة . ...

قفزت من الفراش ... فتحت الباب ، خرجت إلى بيت الغلاء ، وانصفق الباب ورائي ، وحين عدت كانت أمي تتكئ برأسها على ذراعها .

\_ ها ! مستعجل اليوم .

\_ أبدا ... ولكن النوم جافاني . ومللت الفراش .

\_ ألا تأكل شيئا ...

\_ لا أريد .

\_ حليب . أو شاي تفتح به ريقك .

\_ لا أحس بحاجة لشيء .

وتنهدت أمي .

هل حقا أدركت أن فرحي أكبر من أي شيء هذا الصباح حتى من الجوع؟؟

ودعتها ... وخرجت لا ألوي على شيء . البقشة في يدي . خطوتي سريعة ، دقات قلبي عزف ألحانا متشابكة ... وأنا ... كأنني أسبح ولا أمشي . والشارع الطويل .....

لماذا يطول الزمن ونحن في طريقنا إلى السعادة؟؟ أعرف أن طريق العودة سيكون أقصر... ولن يعرقلني شيء.... كهذه الحجارة التي تعرقلني... فأقذفها. يولد غيرها. أدوس عليها. أحس بأنني أفتت الحجر فيصرخ. لكنه عندما يسمع دقات قلبي يتهامس. ويضحك. ويعذرني.

عند رأس الشارع وقفت. استندت إلى الحائط. أريد أن أشحن نفسي. أخذت نفساً طويلاً لأريح صدري، استرحت.... أريد أن أعطي وسمية فرصة أكبر. لتصحو. وتتنفس. و... تستقبلني مرتاحة وباسمة. يختلط غيظي منها بشوقي إليها، ماذا سأقول لها؟ هل أؤنبها؟ هل أعاتبها فقط عتاباً رقيقاً يليق برقتها؟ أم أنسى كل غيظي وأهديها سلامي العذب وشوقي؟؟

سمعت خطوة من ورائي. التفت. كان أبو يوسف القلاف يحمل "يشته" تحت إبطه. وحين رأني انطلق سؤاله يحمل رنة الاستغراب:

\_ ها! عبد الله. ماذا تفعل هنا؟

ارتبك الجواب. تحوصل صوتي داخل حنجرتي. تمطى الكلام قبل أ، يخرج متقطعاً:

\_ أنا... أن... أمي... هذا....

نظر إلى كفي التي تحمل البقشة. ساعدني سؤاله:

\_ لبيت عمي أبو فهد. أمي....

قاطعني:

\_ زين. زين. أمك أرسلتك بها... بس يا عبد الله!

وارتعدت:

\_ "بس شنهو" عمي أبو يوسف.

طبطن على كتفي، خفت رعدتي:

\_ أنا أقول. ليس بهذا الشكل تساعد أمك. صرت رجلاً. ويجب أن تستقر على مهنة. ودافعت عن نفسي:

\_ ياعم أبو يوسف. أنا أدخل البحر... أشيل... وأحط... وأعمل.

رفع يده:

\_ هذه مشكلتك. دائماً في البحر.

\_ أحب البحر.

\_ أمك بحاجة لمساعدتك.

\_ أدري. طلبت مني أن أعمل مع أبو جاسم الحداد.

\_ حسن... فلم لم تفعل؟

\_ أنا لا أطيق صوت الحديد.

هز رأسه. وزفر. ثم:

\_ كانت أمك قد كلمتني أن أشغلك معي.. و

قاطعته:

\_ يا عمي أن إلا أحب القلافة.

غضب :

\_ هذا لا تحبه. وهذا لا تحبه. تتشرط . ماذا تحب إذن ؟ يجب أن تتعلم صنعة . ألا تستحي؟؟

قلت بصوت خافت:

\_ نعم يا عمي سأتعلم صنعة.... الصيد.

حدق في . وأكملت:

\_ العمل في مكان أحبه يفيدني أكثر....

\_ وأمك ! ماذا تقول؟؟

\_ حين شرحت لها رغبتني \_ وكانت حدثتني عن العمل معك \_ وعرفت أنني لا أستغني عن البحر ... وافقت.

ربت على كتفي :

\_ على كيفك . الله يوفقك . " ويخليك لأمك."

\*\*\*

هل سيوفقني الله وأراها؟؟

باليه!

حديثي مع أبو يوسف ، رغم ثقله ، قطع مزيدا من الوقت الطويل، وحين تركني ارتحت ...  
انتظرته حتى اختفى في آخر الشارع . وبدأت أسحب خطوتي . أطيير بها . وأصل إلى بيت وسمية الذي  
كنت ألمحه من مكاني وقد نبتت له أمامي ذراع حنون ، يناديني ، ويستعجلني . وقفت عند الباب ...  
الحيرة تتقاذفني ... يدي ترتفع ثم تعود ... ينهش قلبي فرح يمتزج بالخوف . بالقلق..

هل سأراها؟؟

طرقت الباب ... مرة ... مرتين ... باب الجنة هذا ، هل يؤمن بالحب الذي أحمل فيتكرم .. ويدخلني

؟؟

ينفتح أخيرا.... وتفوح رائحة الجنة . يطل وجهها الملائكي:

\_ عبد الله؟؟

شهقت ... وشع بريق في وجهها كله .

\_ أيه . عبد الله

كانت في لهجتي رنة عتاب. كأنني أردت أن أقول لها: نعم . عبد الله الذي وعدته ... ونسيته . عبد

الله الذي ينام على الشوك ولا ترحمينه . عبد الله الذي توسل لأمه أن يأتي . ليراك . ويسألك . ويعاتبك .

أين وعدك؟

لمحت السؤال في عيوني . ارتخت رموشها:

\_ أهلا عبد الله .

حملت صوتي كل الحزن:

\_ نسيت عبد الله.

ورفعت كفها:

\_لا.. لا والله .بس.

\_بس ماذا ؟ غيرت رأيك ؟

\_لا .

\_إذن !

\_أنا خائفة . خائفة .

\_وأنا ! ألا تدرين كيف مرت الأسابيع علي؟؟ أنا لا أهمك يا وسمية .

ودافعت عن نفسها:

\_بلى .. ولكني أفكر ..... أفكر. ساعة أوافق نفسي. وساعة أتردد.

\_قلت لك لا تخافي . أريد فقط أن نجلس معا. ولن تتأخري.

تنهدت:

\_اليوم كنت أفكر أن أضع الحجر عند الباب . عمرك أطول من عمري. ها قد رأيتك.

\_ماذا تعنين ؟ هل هذا يكفيك ؟

\_لا .. لو لم تأت . ربما كنت غيرك رأيي.

\_والآن .

\_سأضع الحجر .

\_متى؟؟

\_خلاص . لماذا الحجر . أنت تسمعني الآن.

\_قصدك الليلة .

وهزت رأسها مبتسمة .

قلت:

\_هل تمزحين ! أم تقولين هذا للمجرد تطميني.

\_لا والله . الليلة سيكون الطرف مناسباً.

\_خير؟؟

\_أمي اليوم ستزور بعض الأهل . ستعود متعبة . سأهمزها . وعندما تنام...

\_تأتين.

\_إن شاء الله .

\_لن تخافي؟

\_لا أدري ! يمكن.

\_ستكونين شجاعة . وتأتين !

\_لا أدري . يمكن .

\_آه منك . أنت جبانة .

\_ومتى كانت البنت شجاعة! حتى أنتم الأولاد تخافون الكبار.

\_الخوف مولود معنا. لكننا نحاول .

\_أنا سأفعل . ولكن أخشى أن يراني أحد .ولو عرف أهلي سيقطعون رأسي.

طمأنتها:

\_تعوذي من إبليس . لن يراك أحد. ثم . حتى لو رأوك . من سيعرفك؟

-ربما!

\_البنات والنساء تحت العباءات والبوشيات واحد.

\_يصبر خير .

يعني انتظرك.

.....\_

\_قولي هل أنتظر؟

\_انتظر . ولا تقف بعيدا حتى أراك . أنا لا أدل الطريق.

\_صار . صار.

سلمتها البقشة. لامست كفي كفها... سقطت عليها مثقلة بالشوق واللهفة . .. لم تسحبها .. أرخت رموشها وتورد وجهها وارتجفت . .. أشفقت عليها... سحبت كفي .... و.... ودعتها. عيناى تتوسلان لها ألا تخذلني . وهي تهز رأسها...تؤكد وعدما.

\*\*\*

وعدها الثاني...

هل ستفي به أم يأتي مارذ الخوف ويقصف إرادتها؟

مسكينة وسمية...ككل البنات تخاف . معها حق . فلم ألومها؟؟ هل تستطيع صببية لم تكمل عامها

الرابع عشر، أن تخرج وحدها؟ ولماذا؟

لتقابل شابا لا يرتقي لمكانتها . فهي ابنة حسب ونسب. وهو ابن مريوم الدلالة .

هل يستكثر عليها الخوف؟ إنها ترغب . لكنها لا تتجاهل مجتمعا تعيش فيه . وظروفه القاسية .

وتقاليده .

يجب ألا أغضب منها. إن استطاعت الليلة فسأكون أسعد رجل في الدنيا . وإن لم تستطع فيجب

أن أعذرها .. وانتظر وعدا آخر , وآخر .. ومن الآن ... وحتى يأتي الليل ... سأنسى الوعد ... لن أنقل على

نفسي بالتفكير ... والتخمين .. لن أشحن قلبي بالأمل حتى لا تفجعه اللحظة . .. ولن أقتل الأمل حتى

يظل مرفرفا... إلى أن تأتي اللحظة ...

الليلة ... حلم قد يأتي ...وقد لا يأتي ... لكن السباحة في الأحلام نوع من أنواع السعادة . والانتظار

كذلك .

\*\*\*

حملت الوعد رغم شكي فيه . ومشيت . كان شيء ما في داخلي يريد إقناعي بالقوة بأنها ستفعل .  
 . وشيء آخر يصادر هذا القوي ويأمرني ألا أشرع كل نوافذ الأمل مرة واحدة .  
 تركت الأفكار تتلاعب برأسي وأنا أقطع المسافة . أنظر إلى البيوت المتلاصقة؟ والشبابيك  
 المغلقة . أتمنى لو تنام منذ اللحظة . وأن تظل الشبابيك مغلقة حتى لا تطل منها أي عين وتلمح وسمية .  
 صادفت قططا تموء تبحث عن رزقها الصباحي . فتمنيت لو تجد كل ما تشتتهي وترحل عن الشارع ، عن  
 الحي كله . حتى لا تموء في الليل وتدل على وسمية . حتى العصافير التي حطت على أسطح البيوت ،  
 ومرازيمها ، وأسوارها ، تمنيتها لو تسافر إلى مكان بعيد ، تحمل زقزقتها . وزقزقة أجنحتها . وتسافر ولا  
 تعود إلا حين تعود وسمية إلى بيتها بعد اللقاء .

ها هو الأمل يعابثني ثانية . الأمل أكبر من أن نخمد جذوته في الشك والقلق . هو ذا يستقيم في  
 قلبي ... وفي عقلي .. فأرسم للموعد كل خطواته . أزينها... أنسقها.. أعمل حسابا لكل شيء . إلا الكلام . لم  
 أقرر ماذا سأقول .. ولا بد أنها كذلك . الكلام يفر .. لا أصطاده ، وإحساس بالفرح يجلوه عن رأسي .  
 ويتجاذبني ... يمطني يجعلني أحس بقامتي تطول . ورأسي يكبر . ويتحرك . تشتعل فيه كل الكلمات  
 الخامدة .. تنبع من البعيد . أسمع صوت أمي يعاود إصراره:  
 \_هي ابنة أغنياء... وأنت ابن مريوم الدلالة . هي ابنة الحسب والنسب . وأنت مجرد يتيم . ابن رجل لم تر  
 وجهه منذ ولدت .

لكن وعد وسمية يلح . ويبعد صوت أمي .

أه لو كانت أمي تدري الآن أن بنت الأغنياء تحمل في قلبها حبالا ابن الفقير . وأنها تنتهز فرصة  
 غياب صقور البيت لتقرر في لحظة أن تتحدى كل شيء . وتتواصل مع زمن الطفولة الذي أصروا أن  
 يعطوه سنوات أكبر من عمره .

ها هو عمر الطفولة الممتد يحاول . يتردد . ويحاول . حين لمحت وسمية حزني . وعتابي . قررت  
 ألا تخذلني . هي مثلي إذن تشتاق اللحظة . تفر فيها من خلف الأسوار العالية . تجرب لحظة أخرى .  
 تتحرر فيها . وتتنسم هواء منعشا جديدا ،

\*\*\*

نزعت عني رائحة أسبوع كامل . أغرقت جسدي بالماء . وفركت شعري حتى أحسست بتموجاته  
 تنسدل حتى عنقي .

طرقت أمي علي الباب أكثر من مرة:

\_ماذا تفعل يا عبد الله؟

\_استحم .

\_كل هذا الوقت؟؟ كأنك " معرس "

معرس!!!

طرقت الكلمة أذني ... رفرف قلبي ... أجل .. هذه الليلة أنا عريس .

دقت أمي الباب ثانية:

\_عجل يا عبد الله . لتأتي بالخبز .

كان علي قبل أن أغادر البيت أن أحضر الخبز لأمي . وأن أتعشى معها وأن انتظرها حتى تغفو  
 عيونها... ثم اتسحب وأخرج فارا إلى الموعد .

لمحت أمي احمرار وجهي:

\_ كل هذا سبوح؟؟  
 \_ جسدي متسخ من البحر.  
 \_ كأنك كشطت جلد وجهك .  
 \_ لا .. لكنني غسلته بالماء الحار.  
 \_ عوافي .  
 قالتها أمي بصدق . وبحب. ترى !لو كانت تعلم أنني أفعل هذا من أجل موعد قد لا ترتضيه ، هل كانت تقول هذا؟؟  
 سحبت دشداشتي النظيفة . الدشداشة التي لبستها ذلك اليوم الذي ذهبت فيه إلى بيت وسمية .  
 لاحظت أمي ذلك . سألت:  
 \_ لماذا الدشداشة الجديدة؟  
 \_ اشتهيت أن ألبسها.  
 \_ عليك بالعافية .  
 وبحثت عن عطور أمي ... تعطرت . سحبت مشطها الخشبي . ومشطت شعري المبلل.. وأمي تراقب حركاتي . تطل الدهشة من عينيها . وحين أنهيت كل شيء سألتني:  
 \_ لم كل هذا؟؟  
 لم أشأ أن أكذب عليها وقد فضحتني لهفتي واهتمامي بنفسي . ولو أنني فعلت فإنها لن تصدق .  
 وستبقى بعد العشاء متيقظة . وقد تحرمني متعة الخروج . وتحقيق الأمل . كان لا بد أن أعترف لها:  
 \_ أنوي الخروج بعد العشاء .  
 إلى أين؟؟  
 أحسست بشهقة صوتها . بغرابة تنفر من قلبها وكأن السؤال يأتي من هناك . لم أشأ أن أثير خوفها . قلت:  
 \_ أحس ضيقا في صدري . سأتمشى قليلا على البحر.  
 \_ في هذا الليل . والناس ينامون وأنت ...  
 \_ عيوني لن تنام الليلة .  
 ارتجف صوتها:  
 \_ لماذا؟ هل تشعر بشيء! بألم!  
 \_ لا ..  
 \_ إذن لم الخروج؟ إنني أخاف عليك من الليل.  
 \_ لا تخافي .  
 \_ ومن البحر!  
 \_ البحر صديقي . تعرفين هذا .  
 في داخلي كان الخوف . هل كنت سأتجاهل هذا الإحساس؟ إنها مغامرة .  
 وسمية ابنة الحسب والنسب ستخرج الليلة معي .  
 اشهدي يا دنيا.  
 ستذهب وسمية معي تحت ستر الليل إلى البحر ، وتشم رائحته . تسمع همساته . ترتاح على رمله.

وأما.....  
ستكون نائمة.  
وعيون الناس؟  
كلها ستنام . ستهدم بعد صلاة العشاء. كل شيء سيهدم إلا صوت الصراخ في الشقوق . أو  
شجار الفئران عند زوايا البيوت حيث تتراكم القمامات .  
وعيون أمي ؟  
هل تنام؟؟  
وصوت أمي ملحاحا ما يزال:  
-يا عبد الله . إن كنت منزعا من شيء . فحدثني .  
\_أقسم يا أمي . أن لا شيء يزعجني .  
إن كان صدرك ضيقا . إجلس معي . تسهر أحدثك عن أبيك وعن الحياة . ونتسلى .  
\_يا أمي . سوف يسلمني البحر . تعرفين هذا .  
\_تفضل البحر على مجالسة أمك....  
خرقت كلماتها قلبي ... أشفقت عليها... اقتربت منها. أحطتها بذراعي :  
\_يا أمي . أحب مجالستك . لكنك متعبة بعد نهار طويل . وأريدك أن تأخذي قسطا من الراحة.  
\_تعلم أنني لن أرتاح وأنت بعيد .  
\_لن أكون بعيدا.  
\_سوف أسهر .. أنتظرك .  
أصابني الضيق:  
\_أرجوك يا أمي . لا تقلقي . ولا تسهري . وأنا لن أتأخر .  
نبح شك من عينيها:  
\_والعشاء ؟  
\_سأحضر الخبز . وأتعشى معك . ثم أذهب .  
ارتاحت قليلا:  
\_ولن تطيل السهر . أليس كذلك .  
\_نعم لن أطيل السهر؟؟  
هل حقا لن أطيل السهر؟؟  
هل تأتي وسمية ... وننسى الوقت؟؟  
أه... يا وسمية .. وحدنا الليلة سنسهر.  
واشهدي يا دنيا.

\*\*\*

## \_9\_

ارتدى الليل دثاره الأسود. كانت الليلة وديعة . صافية . نامت كل العيون. صمت الشارع . وبقيت  
عيون النجوم سهرانة تحرس مليكها القمر، وتهدى إلى الأرض نورها الشفاف. كأنها تريد أن ترسم لي  
طريقي. وأنا أمشي .

يرابط شيء كثير من الخوف داخل نفسي . ويمتزج به إحساس الفرح واللهفة.  
مشيت هادئا .. أخشى أن يسمع صدى خطواتي الخفيفة ، أو أن أدوس على ذيل هرة..... أو رأس  
صرصار فتزعق الدنيا إن زعقت . أتأكد من أن كل النوافذ مغلقة .. والأنوار مطفأة . ولا عين ترى، ولا  
أذن تسمع . نسيم خفيف يلعب بعض الأوراق المترامية هنا وهناك. فتطير طيرانا خفيفا ثم تعود ....  
تستقر في حضان أمها الأرض ... وقلبي ... يطير لا يستقر ، والسؤال المرتعش :  
\_هل ستفي وسمية بوعدهما؟

\_هل نقيم عرسا نستعيد فيه ذكريات الطفولة التي حسروا عنها الفرح ؟  
لقد استنزفني التفكير طوال النهار .... وتجادبني المخاوف ، وهزتين أشكال الشعور  
المتضاربة ... فهل بعد هذا لا أحظى بوعد أكيد؟  
وصلت إلى رأس الشارع . لم تكن تفارقني رجفة ، وكأن لسعة هواء شتائي تلامس كل بقعة في  
جسدي . انتفض فجأة ثم ارتخى .. وأعلم أن الرجفة ستعود .... فاستعد لها وسؤال ملحاح أبشع من  
الرعدة يدق رأسي :  
"هل سأجدها؟"

الزمن بطيء .. ثعبان يسحق صبري تحت جلده الأملس . فلا أجد ما أتمسك به ووافقه. وقلبي  
طبول تزعق وعينا تمارسان الذوبان في صمت الليل.  
اتلفت كل لحظة .. لأراقب الشارع! هل يأتي أحد فيفسد على اللحظة ؟  
هل ينبثق من الأرض جني ويهدر صفاء الليلة؟؟  
عينا تدوران ثم تحطان على بيتهم ... على بابهم .. أحسب اللحظات . متى تطل ؟ متى أرى وجهها  
؟؟ متى يعزف لي العمر لحن السعادة ... طويل ... طويل.... مرور لحظات الانتظار....  
لكن الأمل مقص يقطعها .. رغم الألم ... والعين مبحرة لا يوقف رحيلها إلى باب البيت حتى ولو رفيف  
جناح ذبابة شاردة .

...صوت....

.....

هي .... وسمية .

أحسها.. لا أراها ... أحسها في عباؤها الحريرية السوداء ، ملفوفة كالغصن الخجول ... طيرا ...  
يفر من قفصه ... يدنو ... يدنو... و... يصل.

أمسكت يدها المرتجفة . شددت عليها بقوة. خشيت أن تغير رأيها وتفرمني ثانية . أن تخونها أعصابها فتقتل امنياتها التي ستحققها . أمنيات توطرها أسيجة الخوف.. وشيء اسمه الحرام.. وآخر اسمه. فهد.

لم أكن اصدق رغم أن عيني تابعتها منذ لحظة ولادتها من باب بيتهم حتى وصلت إلى مكاني ، وحتى قبضت على يدي كأنها تخشى لو تركتها أن تتوه في الليل المعتم فتلتهمها العيون الشرمة. أحسست رعشتها تعانق رعشتي . همست:

\_ها وسمية ! خائفة؟

\_آه.

شددت على يدها مشفقاً .

\_لا تخافي . أنا معك .

قالت وقد نبع من صوتها شيء كالأسف:

\_لا أدري كيف جرؤت . وجئت .

بحزن سألتها:

\_نادمة .

نفث لتريحني وتمسح حزني :

\_لا . ولكن .

لم أرد . انتظرت أن تسمع مني شيئاً . فلم أفعل . قالت :

\_أخشى أن يرانا أحد .

ابتسمت لها . ولا أدري إن كان الليل قد أوصل ابتسامتي :

\_لا تخافي . لن يرانا إلا البحر . ألسنت بشوق اليه؟

رفرف فرح في صوتها:

\_طبعاً . أريد أن أراه في الليل.

\_شترينه .

وسأغسل قدمي فيه.

\_ستنبتين فيه لؤلؤه .. وتمتدين سحابة....

\_هل أصدق أنني سأراه؟؟

\_نعم . صدقي ... أنه ينتظرنا الليلة .

لم نتحرك ... ظللنا عند الجدار . ننتظر اللحظة التي تواتينا فيها الشجاعة فنبدأ الرحلة ...

استدارت نحوي :

\_هل سنلعب في الرمل؟

أكدت لها :

\_وسنبنى بيتاً.

\_ونبني سفنا . وأطفالا .  
 وزغرد قلبي ... تحرك ... وافته الشجاعة ... عاد طفلا :  
 \_هيا يا وسمية .. لنتحرك ...  
 ومشينا .. أرادت أن تصل الحديث الذي انقطع :  
 \_هل تعرف كيف يصيدون السمك؟?  
 قلت بأسف:  
 \_لا .  
 تنهدت ... نهدة كأنها زفرة ... فتداركت:  
 \_ولكني أتعلم ..أخرج كل يوم مع الصيادين .  
 \_طبعا . من يحب البحر ... يحب الصيد.  
 واصلنا خطونا .. وهي تصر :  
 \_تعلم يا عبد الله . تعلم أنا أحب السمك.  
 أكدت لها.. وكنت أقصد هذا :  
 \_من أجلك سأتعلم . سأصيد كل أسماك البحر . ألقوها تحت قدميك فاخترني ما تشائين .  
 ضحكت ضحكة ناعمة أحسستها تلبط بقلبي مـث سمكة " ميد" صغيرة .  
 \_أريد سمكة واحدة ملونة .  
 \_سأجدها .  
 \_تشبهني .  
 \_سأجدها .  
 \_و... تحبك.  
 وضغطت على يدي المستسلمة بين أناملها . انتعشت . قلت:  
 \_لا . لن تحبني سمكة . ولا إنسية ولا جنية مثل حبك.  
 غمرتني بحنان كفها الذائب كأنها تود لو تصير فعلا سمكة وترتاح على صدري.

\*\*\*

أنسللنا عبر الليل. لا أحد يسمع خطونا . حين بلغنا نهاية الشارع همست لها:  
 \_سأسبقك الآن .  
 \_أخاف .  
 \_لا تخافي .  
 \_لكنك ستتركني وحدي .  
 \_ليس هذا تماما... فقط أسبقك ببضع خطوات ...

\_أنا خائفة .

أشفقت عليها. ولكن كان لا بد أن نتباعد . أنا يعرفني أهل الحي . أما هي؛ فلا أحد يعرفها .  
عباءتها السوداء لن تشي بها ولو ثار سؤال . سأعترف . سأقول أنني خرجت في الليل لأقابل امرأة ممن  
يمتهن بيع المتعة . صرت شابا . لن يلومني أحد . كل الرجال يفعلون ذلك . كنت ألمح بعضهم يدلّف  
إلى ذلك الشارع المؤدي الى الحي ، الملىّ بهن . تفوح منهم روائح شهوة ، وترعشهم أحلام لقاء.  
تقدمتها.

سحبت يدي من يدها ... وهي تشدّها .. لكنها أفلتتها وصوت نهدة يصدر عنها تصورته نهدة كفها  
الناعم.  
سرت ...

الشارع الوديع يتهدل إلى البحر . المسجد قابع عند مفترق الطريق ، ساكن هو الآخر .. هل تراه  
غاضبا منا؟؟؟

القطط والكلاب صامتة تتراص حول الحوائط . أو تتمدد كأنها تستحم تحت شمس دافئة .  
حتى أوراق الطريق ، وعلب الطماطم الفارغة المبعوجة ساكنة تماما كسكون الشجرة في بيت وسمية  
.. انها بالتأكيد لم تصدر حفيفا ... ولم تسمح لورقة أن تسقط كأنها تخشى ان يوقظ الصوت أم وسمية  
التي تنام هادئة .. لا يتلاعب في ذهنها شك ، ولا يدور في خلدّها سؤال ..  
انحدرنا الى البحر.

هل هو نفس البحر؟؟ أم من أجلنا اغتسل وأرخی موجه وغيب هديره ؟

أه... عطشان يا بحر الهوى ... ولهان يا بحر الهوى ...

ها هو ذا في حُضن الليل . طفل كبير يتنأب صدفة وأعشابه إلى الشاطئ فتصير مثل عقود  
تحاوط عنقه. وأساور تزين معاصمه . هو ذا يفرح ، وينتعث . ويرتجف رجفة حنونا كأنه يحيينا . كأن  
له ألف ذراع تمتد لتحتويننا. لتهديئ من روعنا . وتربت على وجهينا . كان ثغره الضاحك يزف إلينا  
زغرودة كتمها سنوات بانتظار لحظة الزفاف. وليلة الفرح.

على الشاطئ ترتخي صخرة كبيرة .. عندما يحدث المد تصير شقوقها بيوتا للأسماك الصغيرة  
والقباقيب ... وحين ينحسر الماء... تظل مبلة .. ناعمة... بانتظار حبيبين ... أو عصفورين تائهن.

وكنا العصفورين ، الحبيبين ... فزفنا إليها نفسينا .. ارتمينا إليها جياعا إلى لحظة . إلى فسحة  
من الضوء بعد ظلام ساد طوال فترة مضت . أردنا أن نختبئ عن العيون. حتى من النسمة خشية أن  
تسرق عطرنا وتحوله يدا غاضبة .. تدق الأبواب فتصحو كل العيون وتصير كلاب صيد تتعقب الرائحة  
فتجدنا.

انزويننا قرب الصخرة . وعلى الرمل الأسمر همد جسدانا المرتعشان . لم نجرؤ أن تتلاقى  
نظراتنا. كأن واحدا يخجل من الآخر . أو لا يصدق أنه سيرى الآخر . أخذت يدانا تداعبان الرمل .  
والرمل ينزف من بين أصابعنا ويأتي غيره.

تلاقت كفانا . تعانقت الأصابع . واضطربت دماؤنا... لم أجرؤ أن أمس غير كفها الطرية. وجداول  
شعرها الأسود تتماوج بين أصابعي. بعضها يداعبه هواء البحر . فيخفي بريق عينيها. أمد يدي . وأبعد  
الشعر برقة أخشى حتى أن تخدش أصابعي الشعرة فتئن. تتألم . وتؤلم وسمية.

رفعت وجهها إلي . وغرست نظرتي في العينين الزائغتين الرائعتين . أحسست وكأن همسا واهنا  
يصدر عنهما... كأنما أنشودة خجولة تنطلق بصمتها... وتقول:: أحبك يا عبد الله.  
وشحنت كل الحب الذي في قلبي... ليتفجر نظرة تنطق.. ترد على الأنشودة :  
أحبك يا وسمية ..

أرخينا بصرنا. عدنا نعابث الرمل . سألتها:

\_أمازلت خائفة؟؟

تنبهت :

\_مه ! لا ... قليلا.

\_وأنت معي؟؟

\_معك لا أخاف... لكن الخوف من شيء آخر... لا أدريه...

شجعته:

\_هيا .... لننس الخوف .. ونبني بيتا.

جمعنا كومة من الرمل المبلل. قالت :

\_أريده بيتا صغيرا يا عبد الله .

اعترضت :

\_لا .أريده كبيرا .

قالت كأنها تذكرني بشيء نسيتة:

\_نحن اثنان فقط .

وتحديتها:

والأولاد؟؟

\_..... صمتت ! فوجئت بسؤالي .. لم تكن تتوقع أن أكون صريحا الى هذا الحد.. ربما هي تحسبها لعبة

وحسب .. بيت من الرمال نبنيه ثم بضربة يد واحدة نقضي عليه ونهدم جدرانہ .. واماله ..فوجئت ..

عرفت أنني أقصد بيتا حقيقا .. له جدران .. وأبواب .. ونوافذ .. و .. به .. أولاد....

لم ترد.. فأكملت:

\_أنا أريد أولادا وبنات كثيرين

\_ياه !!ومن أين سنأتي لهم بالأسماء ؟

\_سأسمي كل البنات وسمية.

ضحكت والسعادة ترقص في ضحكتها :

\_والأولاد. هل تسميهم وسمية ايضا؟

\_لا..الأولاد سميهم أنت .

\_أنا؟؟؟

\_طبعا.. البنات لي.. والأولاد لك..

هزت رأسها:

\_اذن .. سأسميهم كلهم \_عبد الله\_

\_موافق. وسمية وعبد الله . يعودون جميعا منا ... ويستمرون.

يكبرون . وكل عبد الله يحب وسمية ... و

قاطعتني:

\_وكل وسمية . تحب عبد الله .

جمعنا الحصى الصغير . جمعنا ودعا.. وبعض الأخشاب المتناثرة.. وبدأنا نبي البيت. نوزع الحجرات .

هذه لنا ... وتلك للبنات. وتلك للأولاد...

وغرفة للجلوس .. وأخرى للطعام ... و... المطبخ... وبيت الخلاء....

ثم أخذنا عصا صغيرة ... لففنا على رأسها بعض الأخشاب وغرسناها في وسط الحوش.

قالت وسمية:

\_ الله .... ستكون شجرة "كنار"

ورفضت :

\_ لا ... أريدها نخلة.

وغضبت :

\_الأولاد يحبون الكنار.

وحاولت اقناعها :

\_لكن النخلة بركة . وخير . والتمر أحسن.

استسلمت بحنان:

\_كما تحب. المهم أن تكون شجرة . نرتاح تحت فينها.

\_ويلعب الأولاد تحتها ويتسامرون في الليالي المقمرة.

\_أه يا عبد الله . تشوقني لهذا البيت.

فرحت :

\_ هل حقا يا وسمية تتشوقين لبيت يكون لنا نحن الإثنين؟؟

وأطرقت .

وظال صمتها ... وأنا أتأمل وجهها الصافي ... ترى ! بما تفكر؟؟ وما الذي يخالج نفسها الطاهرة؟؟

\_وسمية ...

وأفاقت من شرودها ؟

\_ها ...

\_ لماذا رضيت أن تأتي ؟ ؟

ارتعشت .. عامت صفرة خجل على وجهها .. باغتها السؤال الجريئ؟  
تصورت أنني أتهمها بالخروج عن المألوف ... لمعت في عينيها شرارة ندم.... فشعرت بأني جرحتها .  
وتداركت :

\_ أقصد هل كنت متشوقة حقاً لرؤيتي ؟ ومحادثتي؟؟

ارتاح وجهها ... وابتسمت .. هزت رأسها مؤكدة ..

\_ يعني كنت مثلي... تتمنين أن نتلقى ؟

\_ نعم . كنت أتمنى .

\_ وتتمنين أن يكون لنا بيت؟؟

\_ نعم ... أتمنى...

\_ وأولاد...

\_ أجل .. أجل ...

تنهدت:

\_ أه يا وسمية . لو كان أبوك . وأخوك هنا. لما استطعنا أن نحقق هذه الجلسة...

\_ إنني أخشاهما.

\_ كل البنات يخشين الآباء والأخوة !

\_ أنتم الأولاد ... أحسن منا ... لا تخافون....

ضحكت ضحكة هازئة :

\_ من قال لك هذا ؟ أنا مثلاً... أخاف من " أخوك " فهد.

\_ لماذا ؟

\_ لأنه أخوك .... وهو غني ... والأغنياء لا يحبون أولاد الفقراء .

فاجأها ما تفوهت به . كأنه لم يخطر ببالها يوماً أن تناقش قضية مثلاً هذه ... كأنها نسيت في

غمرة اللحظة ... أنها ابنة أغنياء . وأنا ابن فقراء...

\_ ما هذا الذي تقوله يا عبد الله؟

\_ الحقيقة... أنتم أغنياء . وأنا فقير .

\_ لم أفكر بهذا أبدا.

\_ أعلم أنك لم تفكري .

\_ كلنا ناس . وبشر.

\_ أنت تقولين هذا .. لكن الناس نظرات تقول غير هذا ...

\_ ما لنا وللناس؟؟

\_ كيف؟؟ نحن نعيش في مجتمعهم . وأهلك مجتمع آخر ..

\_ أنت تقسو علي.. وعلي أهلي .

\_ أنا لا أقسوا... الواقع هو الذي يقسو علي وعليك.  
 \_ لم تتصور هذا ؟  
 \_ هذا ليس تصورا... أعطيك مثالا. تصوري أنني آتي أنا \_ ابن مريوم الدلالة \_ وأطرق باب بيتكم وأقول "  
 لأبوك " أريد أن أتزوج ابنتك؟؟  
 فاح خجل أحمر على وجهها وارتجفت:  
 \_ ماذا تقول؟؟  
 تشجعت رغم خجلها:  
 \_ أقول. ماذا لو أردت أن أتزوجك؟؟  
 \_ أه ..  
 وأطرقت ..  
 \_ هل سيرضى أبوك؟ وأمك؟ وأخوك فهد الذي يكرهني ، والناس؟؟  
 \_ أمي تحبك.. وأبي .... و...  
 قاطعتها:  
 \_ لا يكفي الحب .. ماذا عن المخاوف من الناس؟؟  
 \_ لا يهم! إن كان أبي وأمي يحبانك.  
 أصريت:  
 \_ لا . بهم . الدنيا هكذا . الغني غنى .. والفقير فقير... محنة ضحيتها نحن أولاد الفقراء.  
 \_ عبد الله . لا تقل هذا .  
 \_ أقول الواقع وحده يا وسمية .  
 تأففت قليلا قبل أن تنطق :  
 \_ لماذا تستبِق الأمور يا عبد الله؟؟  
 \_ لأنني أدركها . .  
 توصلت :  
 \_ لا تفسد علينا اللحظة .  
 وأسفت. أدركت بأنني أثرت ألمها. وحننها . وأطفأت بريق الفرحة عندها . واسيتها لعلي أمحو ما  
 أثرتة:  
 \_ لا تغضبي يا وسمية . أنا آسف .. تغزوني كثير من الأحلام .  
 \_ بعض الأحلام يتحقق يا عبد الله.  
 \_ حبي لك ليس حلما. أنه حقيقة أود أن يتحقق لها الحلم.  
 رفعت رأسها إلى السماء . كأنها ترفع الدعوة إلى النجوم.. والقمر.. والنسمات الوارفة . ثم انزلت  
 بنظرتها إلى البحر كأنها تود أن تزرع الأمنية في قلبه . لتكبر وتكبر . ثم تولد حقيقة تسعدني ، وتسعد ها .  
 الصقنا رأسينا على الصخرة... لا شيء ينغص السعادة .. لا هدير البحر ولا وشوشة الأسماك ... ولا

مداعبات الرمن تحت قدمينا .. كل شيء يخجل أن يتطفل على اللحظة ويوقظها .. فمن ذا الذي يجرؤ أن يخترق سكونها؟ ويفرغ نظرتة الفاحصة في وجهها؟؟ من؟؟  
 كان الفرخ أكبر .. وسمية معي، وأنا معها، والليل يركع للهاث المحبين ، غيبتنا الفرحة .. وهمسنا العذب البريء الذي لا يقول شيئاً بقدر ما يقول... نسينا الوقت .. تجاهلنا الزمن... وألغينا من فكرنا عيون العسس والحراس... حراس البحر... حراس الليل... العيون الكاشفة ..  
 فجأة!!

جاء الضوء واهنا من البعيد .. ارتعشت . التصقت بي كقطعة تخشى السكين. همست ، لكن الهمسة كانت شبه صراخ:  
 \_عبد الله ..

التصقت أكثر... أحسست رعدتها.. فاح في جسدي عجب .. وانتقل ذعرها الي. توترت أعضائي .. أصابني الشلل ، ولولا أنني تذكرت المصيبة التي ستحل بنا لما انتصرت على شللي .. يجب أن أتحرك .. أن أحميها ..  
 الشر قادم .. له عيون .. له أسياخ من النار ستأكلنا إن لم نعجل .  
 \_هيا.

شددتها من يدها بعنف ما تمنيت أن أمارسه معها وأنا الحبيب الرقيق، لكن الضوء الواهن الاتي مقتربا أرعبنا .. فم غول يريد التهام اللحظة ليصبق بعد ذلك رائحة اكتشاف حدث رهيب.. رائحة لقاء غير منتظر بين شاب وشابة. وتنتشر الرائحة .. وتحدث الفضيحة ...  
 \_هيا .. هيا...

وبكل الرعب المنتشر في أعضائها تساءلت :

\_أين ! أين؟؟

أين؟؟؟

لم يخطر ببالي أين؟؟ ولم يكن أمامنا من مكان سوى الصخرة؟ فهل أنا قادر على أن أفتح فيها كهفا؟؟ هل أستطيع أن أرفعها وأخفي وسمية تحتها؟  
 أين؟؟

سؤالها معقول.. لكنه محير! والوقت أضيق من خرم الإبرة! والخوف زلزال يعصف بأعطافنا فتهتز حتى لتكاد تتساقط فتاتا للأرض ..

أين؟ أين؟

والبحر أمامنا .. وحده البحر مخبأ الأسماك ، والودع ، والأسرار.

والأغنيات الراحلة ...

أين ... أين ... والرعدة ، والرعب، والضوء.... وسمية المرتجفة تنقذني :

\_سأغسطس في الماء حتى يذهبوا

ملع القلب:

\_ولكن؟؟

انفلتت من يدي:

\_لا وقت... لا وقت... هم يقتربون.

-ولكن!!

صوتي يناديها .. وتغيب مبتعدة .

أردت أن أنبهها .. هي لا تعرف الغطس، ولا السباحة.. هي والبحر محبان... لكن بالنظرة ، بالعبث على الشواطئ الرحيمة . بالرائحة التي كانت تشمها في ثيابي وجاءت الليلة لتشمها بكرا... آتية من بحر هجرته .

لكنها تسربت إليه بخفة... زفت جسدها النحيل .. وشعرها نائرا يموج على ظهرها... وخطواتها أسرع من خطو الحمام اذ يرى حبة من البعيد. هي تعلم أن اللحظة أزفت ، الخوف سوط يجلدتها فتهرع .. وحين غابت كان الضوء قد اقترب .. اقترب. دورية ليل تتفقد المكان... تتجسس على نضارة القلوب العاشقة .. تكره لحظة ود برئ.

ابتعدت عن الماء .. عن المكان الذي غطست فيه وسمية .. انفردت بنفسي تحت الصخرة .. تحاملت على ارتعاشي وفزعي.... قبل أن أواجه الغول القادم .

أردت أن أطمئنهم بأني وحدي ... عاشق البحر في ليل كهذا .. بعدها يذهبون .. وأعود إليها مسرعا.. وتعود إلى بيتها حمامة مغتسلة.

هجعت تحت الصخرة .. لكن اللحظة التي انفلتت فيها من يدي لم تفارقني .. كأن شيئاً انخلع من قلبي ... وغطس في الماء .. كانت "بقبقة" الماء الذي انغمست فيه تلاحقني .. تفجر سكون أذني .. بق.... بق .. بق..... بق.

\*\*\*

جاءني صوته وهو يقف أمامي .. يشع ضوءه في عيني :

\_وحدك ؟

وتشعب السؤال في أذني آلاف السؤالات؟؟

ارتجفت .. لكنني تماسكت وخروج صوتي:

\_وحدتي .

وتطلعت إلى البحر . خشيت أن تبدوا حركة . أن تنفس موجة . وتفضح الأمر . وأيقظني السؤال:

\_ماذا تفعل هنا في مثل هذه الساعة؟؟

لم أرد ... بقيت جالسا أنظر إليه... صرخ:

\_قم يا حمار... ورد على سؤالي .

لم أرد .. لم أكن قد استوعبت السؤال ... خوض في رأسي متراكما دون ترتيب...

أعاده علي مصرا:

\_ماذا تفعل هنا في مثل هذه الساعة؟؟

شددت أعصاب قدمي خشية أن تخوناني:

\_أرقت . قلت أتمشي.

\_بيتكم قريب من هنا؟

وأشرت :

\_أجل قريب...

\_وحدك؟؟

جاء سؤاله كالتهديد. وفجع صوتي لكنه انطلق :

إيه .. وحدي .

تجولت عينا الرجل في الأنحاء .. كأن للحظة الحب عبيرا يفوح . كأنه لا يصدقني بل يصدق ما

شمه أنفه الكلاي .. أخذ يجول ... ويجول .. يبحث عن شيء ما يجعله ينتصر .. ويكشف السر.

والسر هناك . محروس تحت الموج يرتعد . والموج ربما يرحم الرعدة . فلا يصدر صوتها.. ولا

همسها ... ولا حتى نفس من أنفاسها.

تنحج الرجل . خطأ خطوتين .. ثلاثا .. ما كدت أتنفس الصعداء حتى التفت ثانية وأمرني :

\_أذهب إلى بيتكم

\_إن شاء الله..

وحذرنى ..

\_مرة ثانية لا تتجول في هذا الوقت...

\_أمرك.

وسحب نفسه مسرعا .. وذهب .

وتحركت .. أسمعته خطوي .. أومئ له بأني ذاهب ... هو يتحرك هناك .. وأنا أتحرك هنا .. في

مكاني .. لا يحلمني جسدي . وحين غاب الضوء تماما مرعت الى البحر

\*\*\*

## \_10\_

هل حقا حملتني قدماي؟؟ هل كنت في تلك اللحظة أملك كل أعضائي وأملك السيطرة عليها لأجبرها أن تنطلق نائرة.. طائرة... كصقر يحط بجناحيه الكبيرين ويحمي محبوبته؟؟  
أسرعت بكل قواي التي امتلكتها في لحظة رعب... الى البحر... حبيبي ، وحبيب وسمية... الى حيث حرست نفسها في طياته فصار فراشها لها... حرس في حبا عن العيون، وحرس سمعتنا.  
كنت أطيح فوق الماء . أخشى ان أدوس على موجة ، أية موجة ، ربما تكون لحاف وسمية الذي تذررت به عن العيون.

والسؤالات تتخاطب في رأسي .. تدكه: أين تكون؟؟ وكيف هي؟؟ وهل ستقفز وترفع ذراعيها الناعمين وتمسك بي فرحة؟؟ أم ستبقى حتى أجدها خشية أن هي بادرت .. وأطل رأسها ان تراها عين غريبة؟؟  
أين تكون؟

تحت هذه الموجة؟ تلك؟؟ هذه؟؟ أم تلك؟؟

أيتها الأمواج .. فوهي بكلمة .. أصدرني همسة ... زعزعي زبدك .. أشيري قولي ... هنا الحبيبة ساكنة ... هنا .. تغمض عينيها الرائعتين ... تنتظرك ، لتفتحها أول ما تفتحها على صورة وجهك .. وأنها .. وداعة بانتظار ذراعيك تحملانها الى حيث الصخرة تنتظر ، والرمل ينتظر ، والقمر ، والنسمة ، والحياة.  
خوضت في الماء حتى نصفي .. ضربت وجهه.. ناديت:  
\_وسمية..وسمية ...

خرج صوتي من حنجرتي الحزينة الخائفة مترنحا يضيع في الفراغ.. انحنيت.... تحسست الماء وكأني أتحمس وجه الزهور لأبحث عن زهرة واحدة!  
همست ثانية..... وثالثة:  
\_وسمية... وسمية... أين أنت؟؟

قدماي تحاربان وجه الموجات.. غطست .. تحسست الأرض ، المكان ، الرمل ، الصخر:  
\_وسمية... وسمية.. لقد ذهبوا.. أخرجني...  
لم تجب ! ولم ترد علي حتى بقبقة الماء .

اندفعت بقوة أكبر .. لطمت الماء بعنف أكثر .. غطست أكثر .. ارتفعت .. وغطست ، ارتفعت ، شربت من الماء المالح... ناديت ، ثم صرخت ، و... لا تجيب.

الظلمة من حولي ، الظلمة في عيني .. الظلمة في قلبي ، الظلمة حتى في زبد البحر الأبيض .. لكنه يبهج بين لحظة وأخرى تحت ضوء السماء ... وعليه .. لمحتها .. عباءتها السوداء تطفو ... يتلاعب بها الموج... يشدها .. يفردها ... ويغلقها يقسو عليها ... ولا يحنو....

وأسرعت .. خطفتها .. شدتها الي... ظننتها وسمية تخرج من بحرهما .. وتأتي .. تخرج من خوفها .. وتأتي .. لكن العباءة وحدها جاءت . وحضنتها تلمستها . تأكدت أنها فارغة بلا وسمية .. وصرخت مناديا:  
\_وسمية... وسمية ...

من هنا جاءت العباءة .. من هنا . ستخرج وسمية خائفة لا تزال .. تدفن نفسها تنتظرني أن  
أشدها بنفسى.. وانغمست في المكان .. و ..  
وجدتها ...

رفعتها على ذراعي المتعبين .

ناديتها ... مسحت على وجهها ..

\_وسمية .. هيا ... لقد ذهبوا ..

لم ترد .

\_وسمية . تحركي . لنهرب قبل أن يعودوا .

لم ترد .

هزرتها .. هزرتها... هزرتها...

لم تتحرك .. لم تفتح عينيها.. لم تتأوه.. لم تفرح... ولم تصدر حتى تنهيدة .ألصقتها بصلوعي وأنا  
كالمجنون لا أصدق .. رجوتها:  
\_أفيقي من إغمائك يا حبيبي ..  
لم تستفق.

قرصتها.. رغم حبي كانت القرصة شديدة .. صفعت خديها وكنت أعلم أن هذين الخدين لا  
يصفعان حتى بزهره.. لكنها أبت .. ولم يتهلل وجهها ... لا شيء سوى صورة رعب كانت ترتسم أثارها على  
الوجه الجميل وكأنها لحظة انتفاضة روحها وهي تحاول أن تطل برأسها لتستعيد حفنة من الهواء  
تخزنها. تساعدها على الاستمرار في الاختباء حتى لا ينكشف الأمر.  
لكن النسمة خانتها .. انتهت قبل أن ينتهي الرجل من سؤالاته .. وشكوكه .. وعناده . فخشيت أن  
يفتح أمرنا .. كتمت أنفاسها وكان البحر الذي نحبه ونعشقه . وزفنا إليه نفسنا ليكون لحظة العمر  
الحلوة ؛ كان هو القبر لوسمية .

\*\*\*

العالم كله كان يغفو . كله متازر مع غفوتها. لا ندائي يصل إليها ... ولا حتى ارتعادات قلبي . طبوله  
المتوحشة الراكضة ملعا لم تستطع أن توقظها . أن تحيي فيها عرقا ينبض .. دقة .... فينبض . رعشة .  
فينبض.

وسمية لم تسمع صوتي .... لم تر نظرتها الباردة الرعب الذي انتشر في عيني ولا كفها الهامس  
بخجل الإناث أحس لهفة كفي .

رحلت . وتركتني في قيعان الشجن ، والرعب، والندم ، والحزن العميق وحدي ، كانت ما تزال  
على ذراعي .... ونصفي في الماء... أركع كمن يصلي..... يتوسل.  
بللتها بدموعي . لم يبللها البحر "الكلب" كما بللتها دموعي . حقدت عليه.

صرخت في وجهه وهو يتدافع نحوي . يصل قلبي ثم يهرب كأنه يخشى أن ينتقل حزني إليه ويفسد عليه سعادته ... لعنته:

\_يا ابن الكلب ، يا ابن العاهرة ! أنت الموت ... أكرهك ... لقد أخذت حبيبي . أخذتها في اللحظة التي جاءت إليك محبة وعاشقة ... لتسعد . فقتلت فرحها . ووأدت عمرها ... أكرهك ...  
عانقتها..  
عانقتها.  
عانقتها .  
عانقتها.

عناق ربأت بنفسي أن يحدث وهي حية تجلس بقربي وتسكن كفها داخل كفي وأشم في ارتعاشته شوقا لعناق. خشيت أن أجدش شعورها . ولم أجرؤ .. الا حين ودعت الحياة..  
لثمت شعرها المهاوي الذي يتقاطر ماؤه ودمعه . لثمت جبينها البارد. لثمت أنفها الشامخ حتى في لحظة الموت . لثمت خديها الأملسين ولثمت ثغرها الذي ما باح حتى بكلمة . ثغرها الذس أبى أن يلثم حتى نسمة تمدها بالهواء وبالحياة . ثغرها الذي يشبه ثغراً أمها الطيبة .

\*\*\*

أيها البحر :

لقد قتلتها . استكثرت عليها لحظة سعادة . خطفت نضارة وجهها ومزقت غلالة الشباب التي جاءتك زاخرة بالتوهج ... والتفتح ... والنضوج.  
كنت الدنيا التي أحبتك . لأجلك . ولأجلي . فهل تكون لها القبر الذي يوارئها . ويحرسها من شر الفضيحة ؟؟

ستوارئها وحدك .. تحت موجك .. وسط رملك وقواقعك ، لا أريد أن تشرق الشمس وتلسع جسدها الأسمر وتشير خيوطها الذهبية بأصابع حمراء فاجرة وتصرخ:  
\_هذه هي ابنتكم . ابنة الحسب والنسب . كانت البارحة في وصلة عشق مع رجل ! والبحر يأبى أن يكون مأوى العاشقين ... فنزف عمرها.

لا ... ليست وحدها أصابع الشمس . هناك عيون الرجل الذي رأني في المكان . حين يعلن النهار عن الفضيحة سيذكر أنه رأني عند الصخرة . وسيذكر أنني كذبت عليه ونفيت وجود آدمي معي.

ستكون الفضيحة مضاعفة ! وسمية خرجت مع رجل . والرجل ابن مريوم الدلالة!  
يا للعار ! ابنة الحسب والنسب .... مع ابن مريوم الدلالة .. الفقير . الكسير . ويا لألسنة الناس اللاهية .. حمرا ... سيحرق جسدها الميت.  
ابنة البيت . تنتهز فرصة سفر أبيها... وأخيها وتخرج ...  
تترك أمها أمنة . نائمة وتخرج .  
وهو! كان هنا

وهي! غريقة يلقونها ملقاة على الرمل؟

لماذا؟؟

هل أباح شرفها .. فأباح دمها؟؟

لا .

لن تخرجي يا وسمية . سيسترك البحر . سيحنو عليك رغم قسوته، وسيكون مدفنك وساترك . حملتها إلى صدري .. وقفت وجسدها الصغير يتهدل كوسادة طرية أفرغت كل أحلامها في ليلة صاخبة . .. دموعي تسد نوافذ عيني . لكن طريق البحر كله .. مفتوح أمامي ...

مشيت الى داخله . مشيت لا أحسب الزمن ولا الخطوة ... وحين وصل الماء إلى رأسي..... غطست .. ولا أزال أحملها... ثم !

ودعتها ...

دفنت رأسي في صدرها وبكيت . صليت بقلبي . أمنها الله . وبكيت وألقيتها في الماء العميق الذي حملني بعد ذلك إلى الشاطئ.

القيت بنفسي . يثقلني همي وحزني .. تأملت البحر ... ورغم حقدني عليه عانقته بعيني وتوسلت

اليه:

يا بحر أودعتك حبيبتي . فكن رحوما . ستورا .

يا بحر! لن أهجرك . لا . لا أستطيع ، فأنت قبر حبيبتي . أعدك إلا أهجرك . أن أصبر صيادا....

أصطاد لها الأسماك وأهديها .. أريد أن أراها في وجه كل سمكة . في عين كل "ميدة" صغيرة .

يا بحر....

ها قد أعطيتك أمانة فصنها ... لا ترفضها ... ولا " تزوعها " ثانية إلى الشاطئ . وقل لها . لن أنساها .. ولن أهجرها..

يا بحر ... جئناك نحمل الأمل ... كانت تريد بيتا... وتزرع فيه شجرة .. و ... وسميات.....

لكنك زرعتها في قلبك محارة. لا نبض فيها.

أيها البحر . سأحبك رغم كرمي . وسأصفيح رغم حقدني . وسمية في قلبك ، وأنت ، ستبقى في

قلبي.

\*\*\*

قلبي يضرب.

ضربات خوف . وحزن . وهلع... جسدي لا يحمل هلعي ولا يحتمل ثقل مأساتي فأظل منطرحا على

الرمل لا أجرؤ أن أصرخ. ولا أفرغ الهم.

ماذا سأفعل؟

كيف أتصرف؟

ما الذي سيحدث غدا؟؟

ستصحو أمها... تتحسس الفراش قربها. ولن تجدها. ستنادي مرة .. مرتين ... وحين لا يأتي الرد..  
سترفع صوتها بالنداء.. لكنه سيتبخر في الفراغ اللعين .. ستنفلت عندها من فراشها. تبحث عنها حافية  
في الاحواش .. وحتى في حظيرة الدواجن ... ولكنها، لن تجدها.

ماذا ستفعل في تلك اللحظة؟؟

هل ستخرج الى الشارع كالمجنونة حاسرة رأسها وتصرخ . تعلنن فزعها على الملأ ... وتستجدي :  
يا الأجواد .. ابنتي ليست هنا.

أم ستخرج لتبحث عنها دون أن تعلن شيئا ، فإن وجدتها انتهى الأمر . وان لم تجدها!!!!  
آه ! ماذا ستفعل؟؟

تناوبت على الارتجافات مسرعة . لكنني تحاملت على نفسي... كان لا بد أن أهرب من مكان الموت،  
الحياة من حولي كلها قاسية ظلماء. ووجهي اتشح بسواد أغبر له رائحة كريهة .. حملت جروحي .. وحزني  
...وفرت.

كنت أهرب ، أهرب ، لا أدري ان كانت قدمي تحيطان على الأرض أم تحيطان على الهواء. أردت أن  
أسرع إلى البيت... لا أحمل سوى عباءتها المبللة أدها تحت إبطي .. وأحافظ عليها .. وأحمل فزعي .  
وارتعاشاتي . أفر . أخشى أن يلمحني أحد. أن يلمح في عيني وجه وسمية لحظة موتها، فيشير الي،  
يستيقظ الليل و .. تعرف الحكاية .

الطرق تصفيعين بخوائها. وسكونها . .. تزيد من وحشتي وإحساسي بأني أنا الذي قدمتها  
ضحية للبحر ... فيزيد هذا الإحساس من ارتعاشي . .. كنت مبللا ينزف مائي . يرسم طريقي وتبتلعه  
الأتربة .. كالمجنون أطيّر بعد أن تركتها وحيدة .

هل كنت جباناً؟؟

أم كنت شجاعاً وأنا أواريتها لأحميها من الفضيحة؟

لا ! أنا جبان ! كان يجب أن أدفن نفسي معها . أن أموت ... ونحقق في الموت سعادتنا التي  
يرفضها واقع مرير... ومجتمع متعصب .

وصلت البيت. لا أدري كيف وصلت ! ألقيت بنفسي قرب أمي . نظرت الى وجهها أطمئن أنها حية  
لم تقتلها أحلام رأتني فيها أدفن وجه وسمية.

لم أستطع أن أسكت خفقان قلبي ... قبضت على جسدي لأسكت ارتجافاته . التي تصافق أضلاعي  
بعضها ببعض. خشيته أن تصحو أمي . تلمحني .. فزعا .. مبللا .. وتساألني . فماذا سأقول ؟؟ لا بد أن  
أسكت هذا الغليان بأي شكل . أن أخرس صوت نفسي .. وقلبي . وإلا!!!

\*\*\*

ولكن!!! من يستطيع أن يخمد لحظة التهيج والفرع؟؟ من ذا يكون قادراً أن يوارى خوفه ! ان  
مواراة الخوف أصعب من موارد جسد ميت في التراب... أو الماء . جسدي ينتفض .. أسناني تصطك .  
أنفاسي . لهائي : وهمهمة تنطلق من حلقي تثير الشجن ، والانتباه.  
وأمي . نومها خفيف. هكذا منذ تعودت أن تصحو باكراً باحثة عن الرزق الحلال. لأجلي.

تحركت في فراشها. تقلبت .. مدت يدها تتحسس فراشي الذي يلاصق فراشها. حاست بكفها في جهاته.. لم تجدني . رفعت رأسها . أدارته في أرجاء الغرفة . ثم حطت قرب النافذة حيث يتهاوي جسدي مرتعشا.

وجاء صوتها:

\_عبد الله !

وانبلع صوتي .

كررت الهمس:

\_عبد الله .

وحين لم أجب ، فزعت الي . جلست بقربي تفوح رائحة نومها ومدوئها. هل أحسد مدوءها ! أم أحضنها لأستمد منها بعضه؟؟

اقترب أكثر . تحسستني . وحدثني مرتعشا . مبللا . مبط الخوف على وجهها وفي رنة الصوت:

\_عبد الله ! ما بك؟؟

لم أنطق ... نظرت الى وجهها الذي تنعكس عليه ظلال النافذة . أردت أن استوحى منها الطمأنينة . هفت نفسي إلى مخبأ الصدر الذي هدلته الليالي المفجعة ... وهرسته الأشجان . وددت لو يصير صدرها كهفا يخنقني فأرتاح، بحرا يغرقني فأفر من عاري.

ماذا سأقول لها؟ وهل أجرؤ؟؟ ولكن!! كيف أخفي أمرا كهذا؟؟ لي سوى صدر أمي يحمل شجني .. وليس سواها يستطيع أن يفعل شيئا ... لأجلي . لأجل وسمية .

تتطلع الى وجهي .. يكاد الخوف يبتلع حتى ضوء عينيها:

\_ما بك يا عبد الله؟

انغمرت عليها مخذولا . بائسا . مكسور القلب ، والخاطر . سحبت يدها الناشفة تنشقت تعبها . ودفأها . بللتها بدموعي الساخنة . ثم ارتميت في حضنها . رطمت رأسي بداخله وأنا أبكي :

\_ما الذي تتصورينه يا أمي؟؟

\_أنا؟؟ وما الذي يمكن أن أتصوره؟؟ ما الذي حدث؟؟ أي شيء يجعلك سعة تتهاوى هكذا؟؟ وتبكي يا عبد الله؟؟ قل .. ما الذي تخفيه عني؟؟

\_أمي .. لقد أخطأت ... وضيعت الحبيبة!

\_الحبيبة!!

خبطت أمي على خدها . تعلم أن لا حبيبة لي سوى وسمية . ولكن! من أين لها أن تتصور ما حدث

!

انهالت سؤالاتها المرتجفة:

\_من ! وضح ! كيف ؟ وأين ! ما الذي حدث ... قل ... تكلم....

انهلت على قدميها ... قبلتهما . كانت أظافرهما تطول . تفوح منها رائحة تراب ، وعرق . خشنتان كمنشار . لكني رضيت بهما تشققان وجهي وأنا أمطرهما بالألم . وبالندم .

\_أمي ... لا أستطيع ... لو تعلمين ...

\_أعلم ماذا ؟ قل . ما المصيبة التي تريد بها أن تقتل أمك ؟؟

\_ نعم مصيبة . ... مصيبة كبيرة .

هزنتي . غادرها حنانها فجأة . شعرت بها قاسية في تلك اللحظة . عيناها تدوران في وجهي وحوالي ... تسقطان على العباءة المكرمشة داخل حضني .

سحبتهما ... نثرتها ... تساقط ماؤها... وبحثت عن شيء في رأس العباءة وجدته .  
شهقت:

\_ يا إلهي . عباءة وسمية .

\_ نعم . عباؤها .

ألقيت بالكلمات كمن ارتاح من هم أفرغه الى صدر يحتمله .

\_ كيف جاءت ؟؟

\_ من ؟ العباءة . أم صاحبتهما؟؟

\_ صاحبتهما؟؟

أمي لا تصدق . من حقها أن لا تصدق . أي عقل يمكن أن يصدق ما حدث!

\_ عبد الله . ما ذا تقصد ؟؟

\_ أقصد ما لا تصدقين يا أمي .

نظرت إلي وأغرقت النظر . صدر من عينيها شك واسع الأطراف تحاول أن تطرده . لكنه يبذر أنيابه بحدة في نظرتها . وفي صوتها:

\_ وسمية . كانت معك ؟؟

هزرت رأسي بالإيجاب هزات عنيفة !

\_ وسمية . وسمية في الليل معك ؟ كيف ؟

انبعث من صدري غيظ . ها هي أمي التي تعرف كم أحبها.. تستكثر على أن تكون وسمية معي .

صرخت بصوت مخنوق:

\_ نعم . وسمية بنت الحسب والنسب . مع ابن الفقير .. مع ابنك .. ابن مريوم الدلالة .. نعم ... وفي هذا الليل .

\_ لا شك أنها جنت . وأنت ! أيها المجنون ..

وخضتني . خضتني خضا فتق كل أنحاء معدتي . فأفرغت حتى الخواء الذي فيها . فاحت رائحة زوعي . وابتعدت أمي . أنت بفوطة تمسح ذقني ، وصدري . لمحت دموعها خطأ حارقا... أهليتته يشب النار في جسدي . أنا الذي أسبب لها هذا الألم وتلك التعاسة .

سمعت شهقاتها . تحاول أن تبتلعها لكن الشهقات تخدعها وتنفلت:

\_ أمي .. سامحيني .

شدت على أسنانها . مدت كفها المرتعش ، شدت شعري شدا قاسيا وهي تصب الغضب في وجهي:

\_ ماذا فعلت بالبنية ؟ جلبت لها العار يا ولد؟

\_ لا يا أمي . أنا لم أمسها . أحلف برأسك لم أمسها.

\_ إذن ! ما الذي حدث؟ قل.

وحذفت الكلمة من فمي راغبا في التخلص منها:

\_ ماتت.

وانكبت أمي متهاوية .. أحسست بعظامها تتكسر عظما عظما. تهاوي كفها الذي يشد شعري . سار

على كتفي ثقيلًا . وعلى ذراعي . وغرزت أظافرهما في لحمي:

\_ ما ... ما...ت .....تت....

\_ غرقت في البحر....

غرقت أمي في صمت مذهول . أين تراها غابت؟ هل أغمى عليها ؟ هل أصابتها نوبة قتلت نبض

قلبها ؟

لو كنت مكان أمي لفارقت الحياة .. كيف لها أن تحتل مصيبة كهذه ، وقد شاخ رأسها . وذابت

شربين قلبها ؟

\_ أمي ... أمي ...

لم تنطق . كانت تعصف . مدرار الدمع ينزف ... أسمع صوت قلبها ينط ينط مهتاجا . ألأمسها .

أحاول أن أحرص الرعشة في جسدها . أحضنها ... تفرمني...

\_ أمي ... هي التي فعلت . هي ....

وجاءني صوتها محتدا :

\_ هي ؟ أم أنت ؟ ماذا فعلت بالبنت حتى أغرقتها ؟؟

لم تنتظر اجابة . التفتت نحوي هائجة . أمسكت بوجهي تضربه بعنف وتضرب برأسي في حديد

النافذة . وبخني . شتمتني . قالت كلاما كثيرا . قالت أشياء لا أذكرها . فقد عامت الأشياء أمام عيني .

شعرت وكأنني وسط دوامة بحرية ... تدور . تدور . تدور تسقطني الى اسفل فتنهش جسدي أسنان

الأرض ، وترفعني الى أعلى فتضرب رماح السماء رأسي وتسقطني ثانية .

لا أدري كم مضى من الوقت . وأنا تائه في الدوامة . حين أفقت كانت أمي تمسك بذراعي . وترش

على وجهي الماء ... تهزني :

\_ عبد الله . إصح يا عبد الله . أنت بخير .

\_ خائف . خائف . هل كنت أحلم ؟ هل حقا حدث ما حدث؟ هل أخبرتك بشيء ؟

وجه أمي الباكي ينبئ أن كل شيء واقع . نطق اسم وسمية فتذكرت العاصفة المجنونة كلها .

وعبأة وسمية المكرمشة أمامي . تنعى صاحبيتها .

\_ ماذا أفعل يا أمي ؟ ضاعت وسمية .

\_ وسنضيع . وستضيع سمعة الناس .  
 ثم التفتت الى بحنق ؟  
 \_ هل كان يجب أن تفعل هذا؟؟؟  
 غضضت بصري:  
 \_ الآن . ماذا سنفعل . لا وقت للعتاب واللوم .  
 \_ لا بد أن أفعل شيئاً . لا بد .  
 قبل أن أفرح رفعت رأسها الى حانقة :  
 \_ ليس من أجلك . لقد أجمرت مرتين . بل من أجل البنية . من أجل سمعة أهلها الطيبين . لقد أكرمونا .  
 وما أنت تلدغ اليد البيت أكرمت . تأخذ ابنتهم .  
 و..... قاطعتها :  
 \_ أنا أحبها يا أمي .  
 \_ والذي يحب ! ألا يحافظ على سمعة من يحب؟؟ الذي يحب . هل يقتل؟؟  
 دافعت عن نفسي :  
 \_ أنا لم أقتلها . هي خافت ، اختبأت في الماء . بحثت عنها . كانت قد فارقت الحياة .  
 فركت كفيها :  
 \_ لا حول ولا قوة إلا بالله . حسرة على شبابك يا وسمية . ياليتك أنت يا عبيد .  
 وتنهدت . كأنها تطرد الأمنية التي نطقت بها . وأكملت :  
 \_ ما الذي ينتظر أمها المسكينة ؟ أه ... وأبوها ! وأخوها ... ستر الله أنهما ليسا هنا ... وإلا !!  
 \_ ماذا سنفعل يا أمي ؟ دببريني .  
 \_ الشكوى لله . لا بد أن أتدبر الأمر .  
 \_ ماذا ستفعلين  
 زجرتني :  
 \_ شيء لا يخصك . نم أنت .  
 ثم حقنت نظرتها داخل وجهي وتابعت:  
 \_ هذا إذا استطعت أن تنام . مثلك يعافه النوم .  
 أرجوك يا أم ...  
 \_ أسكت . دعني أفكر بحل للمصيبة التي جئتنا بها .  
 غرست أمي نبتة صغيرة داخل قلبي . أمي لا يعصى عليها أمر .. حبها لأم وسمية . ولوسمية .  
 وحبها لي رغم غيظها سوف يجعلها تفعل شيئاً .. يحميني . يحمي أهل وسمية من الفضيحة .  
 ترى !! ماذا ستفعل أمي؟؟؟؟

\*\*\*

الفجر يؤذن .

أصوات المآذن تنساب الى قلبي .. تحط فيه ..تدفع اليه شيئاً من الأمان وألف شيء من محبة الله.  
الله يحب وسمية . هو الغفور الرحيم. هو الستار . وأمي تحب وسمية وستفعل لأجل أن تحميها أي شيء  
. البارحة وعدت . وهي لا تنسى الوعد.  
رأيتها تتحرك . تجر نفسها . تقف ، لكني أحسها متهاوية وكأنها فقدت أبي للتو . فقدتني . فقدت كل  
حياتها .

سحبت سجادتها . صلت . أطالت في الدعاء . هادئة . كأنها استقرت على قرار منحها الراحة  
طوال الليل ، رغم أنه لم يغمض لها جفن.  
حين سلمت .. التقت نظرتها بي وأنا جالس ما أزال قرب النافذة  
\_قم...صل.... واستغفر ربك... وأطلب لها الرحمة .  
ارحمها يا رب .. احفظها في بحرهما .. ولا تخرجها للعيون الجائعة ... ارحمها يا رب وامنحها الحنان ...  
حنانك ... اغفر لها إن كانت قد أخطأت ..الحب يا ربي ينسى في لحظة تمرده كل شيء ... ونحن لم نفعل  
ما يغضبك ...

نصيبتها أن تموت . ونصيبي أن أحرم منها الى الأبد .

حين انهيت صلاتي جاءني صوت أمي :

\_سأذهب الان لبيت وسمية .

\_الآن ! لم تشرق الشمس بعد !

\_لا بد أن أذهب قبل أن يصحو الناس... وتصير فضيحة .

\_ماذا ستفعلين ؟

ولطمني ردها :

\_ليس هذا شغلك .

ارتدت عباؤها على عجل... لاحظت أن بطانتها للخارج ... أمي لبست العباءة مقلوبة . مسكينة لقد  
قلبت كيائها. وجعلتها كعصفورة مرتعشة هذا الصباح... مشت الى اخر الحجرة . انتشلت بعصبية بالغة  
بعض ملابسنا المتسخة من مكانها . وفردت بقشة مرقعة دست فيها الملابس . وقب أن تربطها قامت  
واتجهت نحوي.

\_هاتها . أينما؟؟

لمحت السؤال في عيني ... فأكملت:

\_عباءة البنت .

كنت أحضن العباءة طول الليل . جف ماؤها ، وتكرمشت ، سلمتها لأمي ، وحين شدتها  
أحسستها تخلع قلبي من داخلي .

سمعتها تهمس وهي تتجه الى حيث تركت البقشة :

\_رحم الله شبابك يا بنت الأجاويد .

وبكيت .

يكيت لأن وسمية التي كانت البارحة غزالة ترتمي قربي على التراب ، صارت مرحومة .  
وسينعيها العالم كله اليوم .

وبكيت لأنني ذبحت أمي ... سببت لها هما كبيرا كانت في غنى عنه ، كان يكفيها شقاء العمر الطويل الذي عاشته منذ مات أبي ، ومات الأمل في قلبها وشابت الأحلام .  
حشرت أمي العباءة داخل البقشة . فضول مجنون يهيجني لكنني غير قادر على السؤال ... أهم ..... ثم أتردد . أخشى أن أثيرها . أن أذكرها بقلقي فتتصور بأنني غير واثق من أنها سوف تتصرف بما يحمي وسمية ، وأهلها ، ويحميني ، ويحميها .

قبل أن تخرج ، التفتت الي ... قالت :

\_اسمع يا عبد الله ، عندما تطلع الشمس ، أخرج من البيت وتعال الي هناك .

وأشارت بذراعها الي الخارج .

\_هناك أين؟؟ على البحر؟؟

بصوت مرتجف باك قالت:

\_هناك . عند بيت وسمية .

\_ماذا سأفعل؟؟

\_لن تفعل شيئا . أنا التي سوف أفعل . بعد ساعة سيكون الناس قد تجمعوا . وأنت واحد منهم .

حاولت في لحظة أن أفهم ماذا تقصد ، وما ذا تنوي ، لكنني ما استطعت وصوتها يتابع :

\_اسمع . اياك ان تأتي بحركة أو كلمة تنبيء عن أنك تعرف أي شيء .

تعذب في داخلك واصمت .

قبل أن افتح فمي بأي استفسار كانت تصفق الباب وتخرج .

\*\*\*

قابعا في مكاني .

مشلول الحركة .

بائس القلب . مكسور الخاطر .

مhezوما مثل سمكة كانت في قمة نشوتها، وفرحها ، وانغرز في صدرها فجأة سيف الصياد.

لم تخرج أمي في هذه الساعة المبكرة إلا لتعجل وتتدبر الأمر قبل أن تصحو عيون الناس لكن وساوس واضطرابات تتناوب على . أثق أنها ستفعل شيئا ، وفي نفس الوقت أخشى أن تعاكسها الظروف وتكون أم وسمية قد صحت . وصاحت ... وصحا الناس .

بقيت في مكاني انتظر . وما أشقى لحظات الانتظار . أحس كل ما حولي يموت . اسمع صرخات

آتية من العمق ، تبتري صبري . تهزني تصرخ بي :

تحرك . لا تنتظر . وكلما هممت أحسست نفسي مزروعا في الأرض . وصوت أمي التي أمرتني

إلا الحق بها إلا إذا طلعت الشمس يوبخني . فركنت إلى مكاني انتظر .

وحين تهدلت أول خصلة من خصلات الشمس قفزت كالملدوغ، وحملت نفسي إلى بيت وسمية.  
الصباح باهت كوجه أرملة . والخوف يرابط في نفسي مثل طفل شقي رفضه العالم فحط في صدري .  
وخطاي تحفر ثقلها في التراب ، والجرح يسكب دماء أحزانه عبر شراييني كلها . حزن ... سأحمله العمر  
كله.

الطريق إلى بيتها يعذبني . ينبوع الشوق الرابض يتفجر فأحسه كالنار داخل عيوني يكاد يعميني  
لكن العين التي اعتادت طريق الحب لا تخطئه . فكلمة جئت احمل نفسي طائرا مبتهجا يرفرف الأمل  
في قلبي إن أراها حتى ولو من البعيد ، والتهم من النظرة سعادة ترافقني أياما وليالي وأسابيع.  
واليوم!

امشي مهموما ، ثقيلًا ، حتى نشوة الذكرى المرصوصة داخل الذاكرة تجافيني . لا تمدني بالعون.  
فأحس وسمية بين ضلوعي . تغرق في دمي ، وأحزاني ، وتعاتبني عتابا حانيا لا قسوة فيه . فتزيد من  
إحساسي بالندم . وبالآلم ، ويصبح الطريق إلى بيتها حقول شوك تدمي قدمي بعد أن كان زهورا لدنة  
تعطر حتى ما بين أصابعي . لكنني مجبر ان امشي الطريق . أتعكز على ذكرياتي ، وعلى الأمل الذي اعقده  
على ذكاء أمي التي تحب وسمية . وستفعل من أجلها كل شيء.

\*\*\*

تصورتني وحيدا أسير إلى بيتها . تصورت أنني سبقت صحو النهار وصحو الناس . لكنني ما كدت  
ادلف الي الشارع حتى فوجئت بجمع الناس .  
كيف نبت هذا الجمع؟ أي هدير صاحب هز المضاجع وفتق النعاس؟؟ الرجال، النساء،  
الأطفال حفاة تندي أقدامهم رطوبة التراب.

\_مال الخبر؟\_

تساءلت كمن لا يعلم شيئا . ولم اسمع سوى صوت واهن لرجل مسن:  
\_لا حول ولا قوة إلا بالله.

شقت الجمع . والصباح يقترب . يشق الجموع معبدا .

أمي .... ها هي ذي وقد سقطت عباءتها . وغطاء وجهها ، وبان شعرها الشائب منفوشا معفرا .  
صوتها الذبيح تتلقفه الجموع المتسائلة من النسوة وقلوبهن تتكسر كما يتكسر جناح عصفور .  
\_كيف يا أم عبد الله؟\_

\_والله هذا ما حدث . راحت البنية ... سحبها الموج . ليتنا لم نحن شعرها ... ليتنا لم نأخذها إلى البحر .

رغم صراخ أمي ... يتهادى صوت امرأة تفسر لأخرى جاءت للتو:

\_أخذوا وسمية إلى البحر . أمها .. وأم عبد الله لتغسلا شعرها وتغسلا الثياب قبل أن تطلع الشمس . لكن  
البحر سحبها.

صوت أمي يلعلع:

\_لقد خوضت في الماء... كدت اغرق . حاولت أن الحق بها . لكن البحر غدار .. سحار ... خطفها .. أه يا زينة  
البنات يا وسمية . يا حسرة قلب أمك من بعدك.

أمي إذن أعلنت الخبر .

لا....

أمي أعلنت كذبتها الذكية . حاكتها ... أقنعت بها أم وسمية بعد أن فجعتها بالعباءة ... وكان لا بد  
لأم وسمية ان ترضى بالكذبة لتحمي سمعة البنت ... وتحمي نفسها من لوم أبيها حين يعود ..  
والناس ... صدقوا الخبر.

من ذا لا يستطيع أن يصدق؟؟ هل هناك من يشك بوسمية ابنة الحسب والنسب؟ البنت  
المستورة التي لا تراها الطيور الطائرة ، والتي تحافظ عليها أمها حتى أنها تصحبها في الفجر لتغسل  
شعرها حتى لا يراها أحد....

من لا يصدق أمي ؟ وهي التي تدخل البيوت ولم تكذب أبدا: ولم تسبب مشكلة ولم تثر حولها  
شبهة .

أبعدت الناس .. اقتربت من أمي ... حضنتها .. تصطدم نظرتها الحمراء بنظرتي الممتنة . شددتها  
إلى صدري . صوتها المجهش يخاطبني يقول كل شيء دون أن يقول .  
أه يا أمي . لا يخونك ذكاؤك أبدا . وأم وسمية التي فقدت حشاشة قلبها ترضى بكذبتك . تؤكد  
وكانها بذلك تحميني أنا .  
وتستر علي أنا . وترحمني أنا .

سحبت أمي من بين الجموع . اتجهت نحو بيت وسمية الذي يعج دهليزه بالنسوة وبالأطفال .  
وصوتها أسمعته هذه المرة يخترق سكون مفاصلي المرتعشة :  
\_سأبقى مع عمته أم وسمية .

أدخلتها . وسحبت خطوتي ، وعضلاتي التي ارتخت ، وقلبي الذي يهوي ، مسحت بطرف غترتي  
عفار وجهي . دمع . ودم . وغبار . ابتعدت . وفي قرارة نفسي أن ابتعد إلى الأبد . لن أعود إلى هذا الحي  
الذي شهد حبي .. وشهد نبأ موت الحبيبة .

\*\*\*

## \_11\_

لن أعود إلى البيت. قال مؤكدا لنفسه وهو في الطراد، وحيدا إلا من شجونه، يطالع البحر، الشبكة المدفونة في أعماقه، الكرب الأحمر يتراقص على وجه الماء فيرقص قلبه أملا أن تمتلئ بالخير.

في السماء. نجمة وحيدة مستوحشة كأنها بيت مجره عشاقه وأصحابه. وهو وحيد مثلها. انزعت الوحدة في قلبه ونمت منذ اللحظة التي ودع وسمية حتى اللحظة التي ودع بيتها. لكن صورة البيت ظلت موشومة في عينيه يحملها أينما ذهب. ذلك البيت الذي عاش فيه أغلب أيام الطفولة. وحرَم منه شابا. ثم حرم منه عاشقا بفقد الحبيبة.

ما هو الليلة يتابع زمن وحدته. يستعيد كل الذكريات. والأحداث. يتذكر كل الوجوه التي عشقها. وجه أمه التي شابت لأجله. وكذبت لأجله كذبة تحمي الحبيبة. وجه أم وسمية الطيب التي كانت لا تفرق ولا تميز. ولا تقسو. ووجه الحبيبة. وسمية في كل لحظاته. الحلوة الأليفة. مذ كانت طفلة تداعب أصابعها خواتم "الشذر" حتى صارت صببية تداعب النسومات جديلتها السوداءويان. وتنثر على الوجنتين ورودا متفتحة. حتى اللحظة التي زار الموت وجهها واختطف بريقه. وجوه الأصحاب. وإلحاحهم الذي ما يزال ليغني لهم.

ورغم حنان كل الوجوه التي أحبها، تشق الوجوه الأخرى طريقها إلى لحظة التذكار. الوجوه التي ما أحبها. وجه فهد القاسي الذي كسر قدمه يوما. وجه زوجته التي تركها للتو بعد أن غيرته، ورفضته، وشتمت حبيبه البحر فصفق الباب وقرر إلا يعود. لكنها بصوتها الجبار سألته: متى تعود؟ فأكد لها: لن أعود... لا تنتظريني.

همس في سره: اللعينة. أعرفها ستنظري لتفرغ سمها في وجهي. لكنني لن أعود.

\*\*\*

عيناه نجمتان تحدقان ناحية الشبكة. وأحلامه يسابق واحدهما الأخر كما تسابقت إليه الذكريات. وعادت تلح عليه رجاءات الأصدقاء: عن يا عبد الله. فتهتز أوتار صوته. يترنم بألحان أغنية لا يدري ان كانت تخرج كلماتها أو يبتلعها نسيم الليل.

هو ذا البحر الذي صار قبر الحبيبة. همسات أمواجه تتلاحق إلى أذنيه فيتصور إن صوت وسمية العذب يأتي مع همس الموج. ويرسل له الأشواق. وحكايات السنين التي قضتها في قلب البحر منذ فارقت الحياة. فيحب الهمس، ينصت إليه، يأنس، يحس إنها بهذا تعزيه. وتمسح الألم عن روحه. وتهدهد الأمل فيه ليبقى طفلا يكبر، ويزهر، ويتردد السؤال في أعماقه:

هل تخرج وسمية؟ هل ما تزال سمكة تسبح وتعاينها الأشواق فتحلم في يوم تودع فيه قبرها البحر وتخرج إلى الحياة التي هجرتها؟؟ وان عادت! هل ستكون له؟ هل ينسى إنها ستعود وسمية ابنة الحسب والنسب، وأنه ما يزال ابن مريوم الدلالة؟ هل ينسى أنها ستعود لنفس المجتمع الذي يحرم لحظة حب صافية. ولحظة انسجام لا تحمل هم الفروقات، ولا تعترف إلا بخفقة القلب؟؟

آه ... يا وسمية . لو عد فسأحملك إلى مكان بعيد . لن أخبر أهلك . ولا الناس . سأعيش معك وحدنا . بعيدا عن العيون ، وعن الحصار . نبتدع زمنا ، ومكانا ، وتقاليد جديدة لا تعقيد فيها ولا قيود . ولكن !  
آه ...

تنهد شقت النهدة صمت نفسه . عرف أنه يحلم أحلام يقظة ، ويرسم أمالا واهية الخيوط . الموت نهاية ... الذي يموت أبدا لا يعود .  
أحس بالنعاس يداعب أجفانه . طرده مرة .. مرتين ... مد كفه ، ملأها من ماء البحر . رشها على وجهه . . تلذذ بطعم الملوحة . وسمية شربت منه كثيرا حتى جف الجوف . وهو ما يزال يغالب نعاسه . يأمل أن تزوره الليلة . أن تدخل إلى الشبكة . فيصطادها كما يصطاد أجمل السمكات .  
لكن النعاس لحوح يأتي . والنسمة الحلوة تثير قشعريرة في أنحاء جسده . وهمس الموج الوديع يسمعه مثل حكايات أمه التي كانت تنساب من ثغرها فينام عليها ، ويحلم بها طفلا . تعود إليه بنغمات شجية تهدده . تزيد في تخدير عضلاته ، وارتخاء أجفانه .

\*\*\*

لا فائدة . النعاس يحاربه . وهدهد المكان ووداعته تضفي عليه خدرا لذيذا . يستند إلى كتف الطراد . يبقى رأسه معلقا ، وعيناه رغم نعاسهما تغازلان الشبكة . والليل الهائل محيط شاسع لا يصلح إلا للرقاد . وللأحلام . لكنه يعاند النعاس . يعاند الأحلام . يعاند نفسه . انه لا يريد أن تغفو عيناه لحظة ، وربما تأتي وسمية في تلك اللحظة . فتجده نائما . تشفق عليه . فلا توقظه وتتركه وتذهب . قد تتصور أنه غير مشتاق لها . أو نسيها . أو غردت في قلبه عصفورة غيرها ، فاختر الهجر . ربما تغضب منه . فلا تعود ثانية . وهو الذي يأتي كل ليلة لأجلها . لأجل أن يعانق البحر كله ، ففي زاوية من زواياه تسكن . يسكن في مكانه . تهدأ نفسه . وجفناه رغما عنه يذبلان ... .. يذبلان ، يتطاير عليهما بعض الزبد . لكن النعاس لا توقظه حتى النقطة الباردة .

\*\*\*

تحت سديم الليل كل شيء ينام وشوشة الماء وحدها تتناغم مع أنفاسه . يهتز به الطراد اهتزازا خفيفا وكأنه ذراع أم تحمله وتربت عليه . لكنه يحس بشيء اخر يحركه . يسمع أصواتا حريرية تنسدل من السماء . وتغاريد تتراقص . فيفض نعاس عينيه ، يرى التغاريد تتصاعد الى أعلى . تلتقي بالأصوات ، تتشكل خيوطا ناعمة . دوائر . مربعات . مكعبات . خيوطا ذهبية وفضية تتعانق بشكل جدائل ملساء تنهادى اطرافها في الهواء . ووهج الألوان يتناثر كحبات عنب ملون .  
وجهه يسبح في ظلال الألوان . يذوب اشتها للغوص فيها . وتتحرك صفحة الماء بهدوء كأنها وجه عذراء تحلم .  
فجأة .

تنشق موجة، تنطلق من قلبها محارة فضية . تطير ، تهبط ، ومع كل قفزة من قفزاتها المنسجمة مع أصدااء الموسيقى . ينفتح طرفاها ببطء . تخرج من الأطراف ألوان زاهية تشق سواد الليل. تلتمع في الأفق . وعلى صفحة الماء الوداع . وترن أصوات كأنها تأتي من أعماق البحارة اللاهتين .

تلهث عيناه وراء الألوان ، وراء المحارة الرائعة ، يتابعها وهي تنفتح رويدا، وحين تنفلق يرى ذراعين سمراوين يمتدان يتأوهان ، يتشاءبان كأنهما إستراحا من الزمن وانتظار لحظة الانطلاق بعد أن ضاقت بهما قيعان البحر .

يتهادى الذراعان إلى أعلى ... أعلى ... يرتفع الرأس .... يرتفع ... هل يصدق ! ها هو وجهها جداول شعرها الأسود تتماوج بين الألوان . يتطاير في النسمة . ثم يحط على كتفين مستديرتين . ها هما عيناهما الجميلتان ينبت منهما حقل من الحب . والشوق .

هل يصدق !!؟ كان القرع يتصاعد في داخله كما تتصاعد الألوان، فيتزايد نبض قلبه. تفر كل هموم السنوات. نافذة بجلدها قبل أن تمزقها أنامل الفرح المنتشرة في كل أنحاء جسده .

يمد ذراعيه . يود لو يضم كل البحر بهما إليه. أن يضغظه إلى صدره وعلى وجهه تنفرش تساؤلات وحيرة . هل حقا يرى وسمية ؟؟ هل حقا تأتي مطرا يسقي بباب أيامه الماضية ؟؟ يدقق النظر ، يستعيد لحظات الطفولة . إنها هي . نفس العينين والشفيتين والجدلين ، ونفس اليد الناعمة المحناة .

تبتسم . يلمح ابتسامتها . شفتاهما تنفرجان . تنغلقان ، يحسهما تنطقان بإسمه . تناديانه :

\_عبد الله ... عبد الله....

تتوثب في نفسه انفعالات الشوق . يهتف :

\_وسمية .

وهي على الماء أمامه تتراقص . يسترها شعرها المنسدل وتشع ابتسامتها. يمد ذراعيه ثانية . يناديها بكل مافي روحه من توق:

\_وسمية . تعالي .

تهتز .

\_تعالي ... اقتربي .

تتمايل .

لا تتدلي . انتظرتك سنوات ، وسنوات ، شقاء عمر كامل عشته وحيدا. حالما.

تسبل جفניה . تحلم .

\_الليلة أنت معي . لي . تعالي نقيم عرسا .

تتماوج أصوات الموسيقى بصوت ضحكتها مثل وقع طبول يهطل إلى قلبه .

\_تعالي يا وسمية . نقيم الليلة عيدا . فأعياد هذا الزمان عجيبة .

يثور في عينها عجب . . وتنطلق منهما شهوة الفضول . لا ترد . فقط تبتسم ، والشفتان

تتداعبان . تهتفان باسمه . والألوان ما تزال تشع ، تخفي عينها تارة .... وتارة شفيتها . وهي تغطس فيها

وتعود أكثر إشراقا والتماعا .

يتماسك ، والموج تفوح موسيقاه ، فيرقص الطراد به ينتشي ، وذراعه ممدودان نحوها . يحس بنفسه

وقد انسلح عن غابات الحزن التي عرشت في داخله . وتشابكت . ينفذ جسده ، يضحك ، يسمع

ضحكتها ترتج . تبتعد . يراها كالطيوف الهائمة ، ترف كأجنحة تعلمت الطيران للتو. تسرع إلى حضن البقعة التي ترتاح في موجها الحبيبة .

صوته الهاتف من الأعماق :

\_وسمية . يا حبيبي . ها أنت تأتيني . وأنا سجين مواسم الوحدة واليتم. أمي ماتت بعد أن شابت . فاقتربي . أنت أمي ... أنت كل شيء .

تمد ذراعيها نحوه .. شفتاها ما تزالان تحملان حلاوة الابتسامة . يلمح أسنانها البيضاء . تتساقط عليهما ظلال الألوان . وعلى جسدها ترسم الخطوط . والمربعات . جسد جنية آتية من بلاد العجائب ، ملكة جمال البحر صارت وسمية . تألفت تحت الماء وما تزال رائحة البخور ودهن العود والحناء تفوح من كل أطرافها .

\_وسمية . هيا اقتربي . لم أجد حبيبة غيرك . زوجتي البلهاء تكره رائحتي . رائحة زفر البحر . تقصيني عنها بعيدا . وأنا أمرب منها إليك . إلى بحرنا الذي أخذك أمانة . هو يردك الآن . فهيا اقتربي .

يدنيها الموج . فيفتح ذراعيه لتسقط بينهما . وما يكاد حتى تأتي موجه وتدفعها إلى الوراء . فيحس بغصة سرعان ما يبتلعها فرح جديد حين تدنيها الموجه التالية . فيستعد للعناق . يشجعها :

\_اقتربي . لا تخافي يا وسمية . نحن في البحر ، وهذا الليل أمين ، العيون بعيدة ، والأنوف التي تدس أطرافها في ستائر اللحظات المسروقة كلها نائمة الآن .

وحدي أنا يا وسمية . ليس إلا من انتظاري ولهفتي ، وشبكتي التي ظللت وفيها لها . ولك .

الموج يقربها . الشوق بانتظارها . الموج يبعدها ... واللهفة تجري وراء الموجه وتعاثها .. وترجوها :

\_يا وسمية . لقد طال الغياب . فلا تتدلي . هيا انطلق . حرري قدميك من محارة الزمن الماضي . تعالي . ارقصي فوق صدري . تحرري من الخوف . زمن الخوف ما يزال هناك على الشاطئ ، يراقب ، ويقهر لكنه هنا يموت . الأفق كله لي ... ولك .... وحدنا .

يهتز جسدها . يتألاً . تولد منه الأعراس ، والابتسامات ، تدني نفسها ، تسحبها الموجه اليه ، لكنها تشدها ثانية ، تنحسر بها أبعد مما كانت . وظلالها .... وألوانها معها .

تسترها ، تخفيها ، تظهرها . وذراعها بالشوق ممتدان إليه ، شفتاها تناديان :

\_عبد الله .

يفهم أنها مشدودة . لا تستطيع . قدماها مثبتتان في المحارة ، وأبوابها تنبلج وتنغلق . في أية لحظة سوف تغفر فاما وتبتلعها .

هل قلبه ، هل يتركها ترحل عنه بعد أن تحقق حلمه البعيد وارتحلت الأحزان؟؟ هل يبقى هكذا مصلوبا في مكانه بانتظار اقترابها الموهوم وعيناه الناعستان تثقلان حركته .

انتفض فجأة ! اهتز جسده كله . وجد نفسه واقفا ، مترنحا يصرخ بأعلى صوته :

\_وسمية ، وسمية ، انتظري .

و.....

يسقط جسده في الماء .

## MULTIPLE CHOICE QUESTION PAPER

## PAPER : NOVEL

- 1 الوسمية تخرج من البحر هي .....  
أ - رواية ب - قصة ج - قصيدة د - رسالة
- 2 الوسمية تخرج من البحر. محور مكانها .....  
أ - بر ب - بئر ج - نهر د - بحر
- 3 من صاحب رواية وسمية تخرج من البحر؟  
أ - ميخائيل نعيمة ب - نوال سعداوي ج - عائشة عثمان د - ليلى العثمان
- 4 ولد ليلى العثمان في .....  
أ - الإمارات ب - الكويت ج - البحرين د - قطر
- 5 متى بدأت ليلى العثمان كتابتها؟  
أ - منذ عام 1960 ب - منذ عام 1965 ج - منذ عام 1900 د - منذ عام 1800
- 6 ما اسم والد ليلى العثمان؟  
أ - عبد الله الناصر ب - عبد الله محمد ج - عبد الله العثمان د - عثمان بن عبد الله
- 7 قد اختيرت رواية ليلى العثمان في أفضل مائة رواية عربية في القرن الواحد والعشرين ما هي؟  
أ - الأحلام ب - الوسمية تخرج من البحر ج - زينب د - الطائر
- 8 تولت ليلى العثمان مهام أمين سر رابطة الأدباء الكويتية لدورتين لمدة ..... سنوات  
أ - أربع ب - ثلاث ج - خمس د - سبع
- 9 بأي رواية شاركت ليلى العثمان بها دولة الكويت في مهرجان الإذاعة والتلفزيون في القاهرة؟  
أ - وسمية تخرج من البحر ب - الطائر بجناح أبعد منه ج - المكان والزمان د - ليلى من البحر
- 10 متى قدمت ليلى العثمان الرواية على المسرح ضمن مهرجان المسرح للشباب؟  
أ - عام 2009 ب - عام 2007 ج - عام 2005 د - عام 2000
- 11 امرأة في إناء قصة قصيرة صاحبها:  
أ - ناصر الظاهري ب - ابراهيم مبارك ج - ليلى عثمان د - ليلى فاطمة
- 12 "هل سيأتي الخير هذه الليلة؟" من قال هذا؟  
أ - خالد ب - وسمية ج - عبد الله د - الريح
- 13 الرحيل قصة قصيرة للأديب:  
أ - ليلى عثمان ب - ابراهيم مبارك ج - ناصر الظاهري د - ليلى فاطمة
- 14 في الليل تأتي العيون قصة قصيرة مشهورة ل.....  
أ - ناصر الظاهري ب - ابراهيم مبارك ج - ليلى عثمان د - ليلى فاطمة
- 15 ..... شر ما يصيب الإنسان.  
أ - الشدة ب - اليأس ج - الضعف د - الفرح

- 16 الحب له صور من قصص القصيرة ل.....
- أ- ناصر الظاهري ب- ابراهيم مبارك ج- ليلى عثمان د- ليلى فاطمة
- 17 أين المكان الذي بدأت الرواية...؟
- أ- شاطئ البحر ب- أمام البيت ج- ساحة البيت د- فناء البيت
- 18 حالة حب مجنونة قصة مشهورة ل.....
- أ- ناصر الظاهري ب- ابراهيم مبارك ج- ليلى عثمان د- ليلى فاطمة
- 19 وسمية تخرج من البحر .بطلتها
- أ- ابنة عم ب- بنت الشاطئ ج- وسمية د- سمية
- 20 الحواجز السوداء قصة قصيرة مشهورة صاحبها.....
- أ- ناصر الظاهري ب- ابراهيم مبارك ج- ليلى عثمان د- ليلى فاطمة
- 21 نقطع الطريق حتى نصل نهايته لنصافح وجه ..... بائعة الباجلاء.
- أ- أم علي ب- أم رباب ج- أم ريان د- أم سياد
- 22 زهرة تدخل الحي مختارات قصصية صاحبها.....
- أ- ناصر الظاهري ب- ابراهيم مبارك ج- ليلى عثمان د- ليلى فاطمة
- 23 من قال هذا ولمن؟ "شعيرك يطول بسرعة لأنك ولد ، ولأنك أطول مني "
- أ- عبد الله لوسمية ب- وسمية لعبد الله ج- عبد الله لأمه د- وسمية لأمها
- 24 ليلة القهر قصة قصيرة مشهورة ل.....
- أ- ناصر الظاهري ب- ابراهيم مبارك ج- ليلى عثمان د- ليلى فاطمة
- 25 من قال هذا؟ "خذ يا عبد الله تغذ اليوم مع أمك من غذائنا"
- أ- أم وسمية ب- وسمية ج- خادمة د- ابو وسمية
- 26 المرأة والقطة رواية مشهورة صاحبها.....
- أ- ناصر الظاهري ب- ابراهيم مبارك ج- ليلى عثمان د- ليلى فاطمة
- 27 في بيت وسمية طيور كثيرة جاء به والد وسمية من سفراته إلى .....
- أ- أوروبا وانجلترا ب- باكستان وأفغانستان ج- الصين وسودان د- الهند وإيران
- 28 صمت الفراشات رواية مشهورة ل.....
- أ- ناصر الظاهري ب- ابراهيم مبارك ج- ليلى عثمان د- ليلى فاطمة
- 29 هو وسمية يكره من الطيور .....
- أ- ببغاء ب- ديك رومي ج- البط د- حمام
- 30 خذها لا أريدها رواية مشهورة صاحبها:
- أ- ناصر الظاهري ب- ابراهيم مبارك ج- ليلى عثمان د- ليلى فاطمة
- 31 حلم الليلة الأولى ..... مشهورة ليلي العثمان.
- أ- رواية ب- قصة قصيرة ج- رسالة د- قصيدة
- 32 بلا قيود..... دعوني أتكلم كتاب ليلى العثمان في .....
- أ- السيرة ب- القصة ج- الرواية د- الرسالة
- 33 المحاكمة .... مقطع من سيرة الواقع كتاب في السيرة صاحبها....
- أ- ناصر الظاهري ب- ابراهيم مبارك ج- ليلى عثمان د- ليلى فاطمة

- 34 ليلي العثمان كتاب مشهور في أدب الرحلة ما هي ؟  
أ- أيام في اليمن ب- المحاكمة ج- المرأة والقطة د- صمت الفراشات
- 35 ليلي العثمان كتاب مشهور في أدب الحرب ما هي ؟  
أ- أيام في اليمن ب- يوميات الصبر والمرج ج- وردة الليل د- المرأة والقطة
- 36 ..... شعر مشهور ليلي العثمان .  
أ- أيام في اليمن ب- يوميات الصبر والمرج ج- وردة الليل د- المرأة والقطة
- 37 ليس من المؤلفات ليلي عثمان  
أ- الطائر ب- أيام في اليمن ج- المرأة والقطة د- صمت الفراشات
- 38 عبد الله شخصية في رواية ليلي العثمان . أي الرواية ؟  
أ- الأحلام ب- الوسمية تخرج من البحر ج- زينب د- الطائر
- 39 من هي وسمية ؟  
أ- هي فتاة غنية ب- هي عجوز ج- هي فتاة فقيرة د- هي مسنة غنية
- 40 بما ربط عبد الله وسمية ؟  
أ- العشق ب- الغنى ج- الفقر د- الكراهة
- 41 من عبد الله في الرواية وسمية تخرج من البحر  
أ- حبيب وسمية ب- فتى غني ج- ملك القرية د- صاحب المسجد
- 42 بعد فراق طويل وافقا أن يجتمع في .....  
أ- شاطئ البحر ب- شاطئ النهر ج- السوق د- البستان
- 43 في أي وقت يريد أن يلتقيا في شاطئ البحر ؟  
أ- بعد العصر ب- بعد المغرب ج- بعد العشاء د- بعد الصباح
- 44 ليس من روايات ليلي العثمان  
أ- المرأة والقطة ب- صمت الفراشات ج- حلم الليلة الأولى د- أيام في اليمن
- 45 ليس من قصص ليلي العثمان  
أ- حالة حب مجنونة ب- وردة الليل ج- امرأة في إناء د- الحب له صور
- 46 وردة الليل شعر مشهور ل.....  
أ- ليلي العثمان ب- عائشة عثمان ج- فاطمة عثمان د- خديجة عثمان
- 47 من كان والد ليلي العثمان ؟  
أ- تاجرا ب- شاعرا ج- فقيرا د- صانعا
- 48 من قال هذا ولمن " خل أمك تسلقه لك ، أو تقليه"  
أ- عبد الله لوسمية ب- وسمية لعبد الله ج- والد وسمية لوسمية د- ام وسمية لبنتها
- 49 يلعب عبد الله وسمية مع بعض الأطفال لعبة.....  
أ- اللبيدة ب- كرة السلة ج- لعب في التراب د- كرة القدم
- 50 ما اسم أخي وسمية ؟  
أ- جبار ب- فهد ج- كريم د- نوفل
- 51 أخبر ..... "كانت تلعب عروسة ومعرس مع عبد الله"  
أ- فهد ب- أبوها ج- أمها د- وسمية

- 52 كانت وسمية هي ابنة الحسب و.....  
أ - الغنى ب - النسب ج - الكرم د - العزة
- 53 كان عبد الله هو ابن .....  
أ - كريم أبوية ب - ضعيف ج - فقير د - مريوم الدلالة
- 54 بين عبد الله وسمية ..... كبيرة .  
أ - اتفاق ب - موافقة ج - فوارق د - ليس من المذكورين
- 55 عبد الله .....  
أ - رجل غني ب - شديد القوة ج - يتيم د - ضعيف
- 56 أمي تنادي أم وسمية ب.....  
أ - أمي ب - جدتي ج - عمتي د - خالتي
- 57 من قال هذا ولمن؟ " هل بنات الأغنياء لا يحبون أولاد الفقراء؟  
أ - وسمية لأمها ب - عبد الله لأمه ج - فهد لأمه د - وسمية لعبد الله
- 58 قال أم عبد الله " وسمية حليوة وأمها ..... طيبة كافة عافة.  
أ - بنت كريم ب - بنت حلال ج - بنت طيبة د - بنت غني
- 59 طفولتي وطفولة وسمية طفولتان.....  
أ - متناقضتان ب - مكروهتان ج - مرفوضتان د - منسيتان
- 60 متى قالت وسمية هذا" ممنوع. أنت تعرف . أبوي مسافر. وفهد..."  
أ - حين عبد الله ناداها إلى البحر ب - لما لقيت عبد الله ج - حين سمع صوت عبد الله د - ليس من المذكور.
- 61 من يقف بالمرصاد ليراقبهما؟  
أ - والدها ب - أمها ج - أخوها د - جارها
- 62 عيون الناس ..... لأن الناس يراقبون عما حدث بينهما.  
أ - عسس ب - مكروهة ج - بالحب د - بالسلام
- 63 لما جاء عبد الله إلى بيتها بثيابهم فرد وقال أمك أن تحضره بنفسها من رده؟  
أ - ام وسمية ب - والد وسمية ج - أخو وسمية د - وسمية
- 64 لماذا رد عبد الله ؟  
أ - لأنه كبير ب - لأنه صبي ج - لأنه مريض د - لأنه فقير
- 65 أين عكف عبد الله بذكريات الطفولة معها  
أ - في البستان ب - في بيتها ج - في الطريق د - في الطراد
- 66 قال عبد الله لأمه هل أخذك إلى الدختر؟ ما المراد بالدختر  
أ - بالبيت ب - بالمستشفى ج - بالدكتور د - بالعبادة
- 67 من قال له " لا تخف فهد ليس بالديرة رافق أباه في سفره جديدة"  
أ - ابو وسمية ب - ام عبد الله ج - ام وسمية د - وسمية
- 68 بعد فراقه الطويل من وسمية جاء له فرصة للقائها متى ؟  
أ - حين يعطي الأغراض إلى بيتها ب - هناك حفلة ج - هناك حفلة زواج فهد د - عيادة أمها

- 69 لما جاء إلى بيت وسمية بعد فراقه الطويلة من فتح له الباب؟  
أ- أم وسمية ب- فهد ج- وسمية د- ابوها
- 70 من قال هذا ولمن؟ "لا تفرضي شيئاً للناس نيام والليل ستار  
أ- وسمية لأمها ب- عبد الله لأمه ج- فهد لأمه د- عبد الله لوسمية
- 71 إلى أين نوديت وسمية بعد العشاء؟  
أ- شاطئ البحر ب- البستان ج- بيته د- باحة المدرسة
- 72 لما سأل عبد الله عن مجيئها وقال إذا قررت المجيء سأضع هنا عند باب البيت .....
- أ- حليب ب- قلادة ج- حجر د- قميص
- 73 من قال هذا المثل " أنظر يا حمار لما يجيك الربيع"  
أ- عبد الله ب- الناس ج- ام عبد الله د- وسمية
- 74 جسد أم عبد الله يشبه ب..... الطويل  
أ- النحيف ب- القصموول ج- العظام د- الشديد
- 75 من قال هذا ولمن " أهلاً أهلاً حياك أي والله يا وليدي . ولكنها كلفتك مشقة"  
أ- وسمية لأمها ب- عبد الله لأمه ج- فهد لأمه د- أم وسمية لعبد الله
- 76 من قال هذا " يا عبد الله تقضي أوقاتك عند البحر ..."  
أ- أمه ب- شرطة ج- الناس د- وسمية
- 77 أي شغل يريد عبد الله أن يعمل ؟  
أ- صيد الأسماك ب- العمل في السوق ج- التجارة د- التنظيف
- 78 بماذا يحب عبد الله أن يعمل صيد الأسماك ؟  
أ- كان يحب السمك ب- كان يحب البحر ج- كثرة المال من السمك د- يحب الصيد
- 79 ليلي العثمان شعر مشهور .....
- أ- وردة الليل ب- أيام في اليمن ج- يوميات الصبر والمر د- ليس من المذكورين
- 80 الشاذ من المجموعات الآتية :  
أ- حالة حب مجنونة ب- الرحيل ج- الحواجز السوداء د- الوسمية تخرج من البحر
- 81 متى بدأت ليلي العثمان محولاتها الأدبية ؟  
أ- من مقاعد الدراسة ب- من نعمة أظفارها ج- بعد سن البلوغ د- بعد عمرها الثلاثون
- 82 الشاذ من المجموعات الآتية :  
أ- الحب له صور ب- زهرة تدخل الحي ج- المرأة والقطة د- فتحية تختار موتها.
- 83 الشاذ من المجموعات الآتية :  
أ- صمت الفراشات ب- وسمية تخرج من البحر ج- حلم الليلة الأولى د- أيام في اليمن
- 84 قال عبد الله لوسمية لا تخافي . لن يرانا إلا ..... ألسنت بشوق إليه  
أ- البحر ب- أمي ج- بيتك د- الناس
- 85 قالت وسمية : "من يحب البحر يحب ....."  
أ- السمك ب- الصيد ج- الموج د- الماء
- 86 صار عبد الله ووسمية في شاطئ البحر ك..... تائهين.  
أ- موجين ب- عصفورين ج- ديكين د- غرابين

- 87 قال عبد الله أنا أريد أولادا وبنات كثيرين سأسمي كل البنات .....
- أ- فاطمة ب- خديجة ج- عائشة د- وسمية
- 88 من قال هذا " ماذا تفعل هنا في مثل هذه الساعة؟
- أ- شرطة ب- حارس ج- فهد د- الناس
- 89 مرة ثانية لا تتجول في هذا الوقت... من قال هذا؟
- أ- شرطة ب- حارس ج- فهد د- الناس
- 90 أين خفيت وسمية حين جاء الشرطي إلى شاطئ البحر؟
- أ- خفيت في البحر ب- هربت ج- خفيت وراء الصخرة د- ليس من المذكورين
- 91 نهاية الرواية .....
- أ- حزن ب- فرح ج- مشقة د- سرور
- 92 أين حصل عبد الله عباؤها
- أ- من الرمل ب- من البحر ج- من الصخرة د- من البيت
- 93 كيف واجه أهل وسمية عبد الله في الأخير؟
- أ- عاقب ب- لم يعاقب ج- قتل د- صفق
- 94 عبد الله في نهاية الرواية؟
- أ- يسقط جسده في الماء ب- يقتل نفسه بالسكين ج- قتل عبد الله د- ليس من المذكور
- 95 نسمات معناها:
- أ- الريح شديدة ب- الريح اللينة ج- العاصفة د- المطر مع الريح
- 96 أين كانت أيام طفولة عبد الله مع وسمية
- أ- في بيت عبد الله ب- في شاطئ البحر ج- في المدرسة د- في الملعب
- 97 كتبت ليلي العثمان الروايات والسير وأدب الرحلات والشعر فضلا عن .....
- أ- رسائل ب- قصة القصيرة ج- مقامات د- قصيدة
- 98 بلا قيود.. دعوني أتكلم سيرة مشهورة ل.....
- أ- فدوى طوقان ب- ليلي العثمان ج- نعيمة د- السعداوي
- 99 أي شخصية من شخصيات الرواية أكبر ذكية؟
- أ- وسمية ب- عبد الله ج- أم عبد الله د- أم وسمية
- 100 صراع هذه الرواية " وسمية تخرج من البحر"
- أ- عشق بين الفقر والغني ب- صراع بين المكان والزمان ج- عادة الناس د- التجارة

## ANSWER KEY

- (1) رواية
- (2) بحر
- (3) ليلي العثمان
- (4) الكويت
- (5) منذ عام 1965
- (6) عبد الله العثمان
- (7) الوسمية تخرج من البحر
- (8) أربع
- (9) الوسمية تخرج من البحر
- (10) عام 2007
- (11) ليلي العثمان
- (12) عبد الله
- (13) ليلي العثمان
- (14) ليلي العثمان
- (15) اليأس
- (16) ليلي العثمان
- (17) شاطئ البحر
- (18) ليلي العثمان
- (19) وسمية
- (20) ليلي العثمان
- (21) أم علي
- (22) ليلي العثمان
- (23) وسمية لعبد الله
- (24) ليلي العثمان
- (25) أم وسمية
- (26) ليلي العثمان
- (27) الهند وإيران
- (28) ليلي العثمان
- (29) ديك رومي
- (30) ليلي العثمان
- (31) رواية
- (32) السيرة
- (33) ليلي العثمان
- (34) أيام في اليمن

- (35) يوميات الصبر والمر
- (36) وردة الليل
- (37) الطائر
- (38) وسمية تخرج من البحر
- (39) هي فتاة غنية
- (40) العشق
- (41) حبيب وسمية
- (42) شاطئ البحر
- (43) بعد العشاء
- (44) أيام في اليمن
- (45) وردة الليل
- (46) ليلي العثمان
- (47) شاعرا
- (48) وسمية لعبد الله
- (49) اللبيدة
- (50) فهد
- (51) فهد
- (52) النسب
- (53) مريوم الدلالة
- (54) فوارق
- (55) يتيم
- (56) عمتي
- (57) عبد الله لأمه
- (58) بنت حلال
- (59) متناقضتان
- (60) عبد الله ناداهما إلى البحر
- (61) أخوها
- (62) عسس
- (63) أخو وسمية
- (64) لأنه كبير
- (65) في الطراد
- (66) بالدكتور
- (67) أم عبد الله
- (68) ليعطي الأغراض إلى بيتها
- (69) وسمية
- (70) عبد الله لوسمية

- (71) شاطئ البحر
- (72) حجر
- (73) عبد الله
- (74) القصمولى
- (75) أم وسمية لعبد الله
- (76) أمه
- (77) الصيد الأسماك
- (78) كان يحب البحر
- (79) وردة الليل
- (80) الوسمية تخرج من البحر
- (81) من مقاعد الدراسة
- (82) المرأة والقطة
- (83) أيام في اليمن
- (84) البحر
- (85) الصيد
- (86) عصفورين
- (87) وسمية
- (88) شرطة
- (89) شرطة
- (90) خفيت في البحر
- (91) حزن
- (92) من البحر
- (93) لم يعاقب
- (94) يسقط جسده في الماء
- (95) الريح اللينة
- (96) في شاطئ البحر
- (97) قصة القصيرة
- (98) ليلي العثمان
- (99) أم عبد الله
- (100) العشق بين الفقر والغنى.

## MODEL QUESTION PAPER

## PAPER : NOVEL

6X½= 3

أجب عن الأسئلة الآتية

1. ليلي العثمان كاتبة من دولة.....
2. .... هي ثلاثيات الروائي نجيب محفوظ
3. موسم الهجرة الى الشمال ل.....
4. المرأة والقطة ل.....
5. .... هي رواية أولى في العربية
6. حاز نجيب محفوظ على جائزة النوبل سنة.....

5X2= 10

أكتب السياق

7. من ذا يلوم عاشقا لم يسفر الصباح عن وجه عشقه. لم تر الشمس ميلاده؟؟
8. -نعم ، كنت دائما أحاول تقليد صوته، نبراته، تلك الاهتزازات التي تتابع برقة من حنجرتة الدافئة.
9. يهتز الكرب الأحمر أكثر، يحس سباق الأسماك إلى الشبكة تندافع أفواجا أفواجا كأنها تدخل إلى قلبه. تشاركه وجده وعذاباته وتسمع شكواه، وتؤاسيه .
10. تطلع إلى وجهها الكشر . بماذا يرد عليها وهي تلعن حبيبه ! تقسو عليه. فماذا يقول؟؟ وكيف يرد اللعنة؟
11. لم أرد .. لم أكن قد استوعبت السؤال ... خوض في رأسي متراكما دون ترتيب...
12. تنحج الرجل . خطأ خطوتين .. ثلاثا .. ما كدت أتنفس الصعداء حتى التفت ثانية وأمرني :
13. قدماي تحاربان وجه الموجات.. غطست .. تحسست الأرض ، المكان ، الرمل ، الصخر:

3x5= 15

اكتب مذكرة عن ثلاثة من الآتية

14. شخصية وسمية
15. شخصية عبد الله
16. مساهمات ليلي العثمان
17. مساهمات نجيب محفوظ

1x12=12

اكتب مقالة من الآتية

18. خلاصة رواية وسمية تخرج من البحر
19. تطور الرواية

### خلاصة الرواية

يتناول قصة حب عذري لفتى اسمه عبد الله من أسرة فقيرة ، والفتاة وسمية وهي من عائلة غنية، يولد حبهما منذ الصغر ويتطور في الكبر، ويصبح وطيدا، بيد أن الفارق الاجتماعي يقف عائقا فهي بنت العائلة الأصيلة وهو ابن الفقر ابن مريومة الدلالة، البحر هو مكان تواعدهما، مع أعذب النسومات ومدير البحر الجميل الذي يشعل رومانسية حبهما العذري، يتفقان على الموعد بعد غيبة طويلة، والمكان هو شاطئ البحر، بعد صلاة العشاء، حيث ينام الجميع ، فتسرح لهما فرصة الالتقاء والحديث وسرد الذكريات الجميلة والتعبير عن مكنوناتهما من حب وألم الابتعاد ، يأتي رجلان من بعيد يمثلان الأمن أو الشرطة، فتختبئ وسمية في البحر ويبقى عبد الله وحيدا مع الرجلين ويمنعانه من المكوث في موقع البحر، وبرحيلهما يعود إلى محبوبته في البحر، فلم يجد منها سوى عباؤها، لقد غرقت، فيصبح كالمجنون لا يدري ماذا يفعل لقد فقد قلبه النابض بالحب، وأخيرا يذهب إلى والدته حاملا عباءة وسمية.

## ليلى العثمان

ولدت ليلى عبد الله العثمان في الكويت لأسرة كبيرة هي عائلة العثمان ووالدها عبد الله العثمان كان شاعرا وكان له منتدى أدبيا كبيرا.

بدأت محاولاتها الأدبية وهي على مقاعد الدراسة ، ثم بدأت النشر في الصحف المحلية منذ عام 1965 في القضايا الأدبية والاجتماعية، والتزمت منذ ذلك الحين ببعض زوايا أسبوعية ويومية في الصحافة المحلية والعربية وما تزال لها العديد من القصص والروايات التي ترجمت بعضها إلى لغات عدة.

أعدت وقدمت عددا من البرامج الأدبية والاجتماعية في أجهزة الإعلام والتلفزيون. تولت مهام أمين سر رابطة الأدباء الكويتية لدورتين لمدة أربع سنوات. تواصل كتابة القصة القصيرة والرواية والنشاطات الثقافية داخل الكويت وخارجها. اختيرت روايتها " وسمية تخرج من البحر" ضمن أفضل مائة رواية عربية في القرن الواحد والعشرين تحولت الرواية المذكورة إلى عمل تلفزيوني شاركت به دولة الكويت في مهرجان الإذاعة والتلفزيون – القاهرة. قدمت الرواية ذاتها على المسرح ضمن مهرجان المسرح للشباب عام 2007م.

ليلى العثمان تعد من أبرز الكتاب على الساحة العربية عامة والخليجية خاصة، حيث أصدرت منذ وقت مبكر العديد من الإصدارات القيمة.  
في القصة القصيرة:

امرأة في إناء، الرحيل، في الليل تأتي العيون، الحب له صور، فتحية تختار موتها، حالة حب مجنونة ، الحواجز السوداء، زهرة تدخل الحي ( مختارات قصصية ) ، يحدث كل ليلة حلم غير قابل للكسر (مختارات قصصية)، ليلة القهر.

في الرواية:

المرأة والقطة، وسمية تخرج من البحر، صمت الفراشات، خذها لا أريدها، حلم الليلة الأولى.

في السيرة: بلا قيود.... دعوني أتكلم، المحاكمة.... مقطع من سيرة الواقع.

أدب الرحلات: أيام في اليمن

أدب الحرب: يوميات الصبر والمر

في الشعر: وردة الليل